الأعمال الإبداعية

مأساة الحلاج

صلاح عبد الصبور

الهيئة المصرية العامة للكتاب



مأساة الحلاج

القراءة للجميع
مهرجان ٩٦
جمعية الرعاية المتكاملة

مهرجان القراءة للجميع ٩٦

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الإبداعية)

ماساة الحلاج
صلاح عبدالصبور

الغلاف
للفنان جمال قطب

الانجاز الطباعى والفنى
محمود الهندى

الجهات المشتركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة الحكم المحلى
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ: هيئة الكتاب

المشرف العام
د. سمير سرحان

مأساة الحلاج

صلاح عبدالصبور

على سبيل التقديم...

لأن المعرفة اهم من الثروة واهم من القوة فى عالمنا المعاصر وهى الركيزة الاساسية فى بناء المجتمعات لمواكبة عصر المعلومات.. من هنا كان مهرجان القراءة للجميع دلالة على الرغبة الطموحة فى تنمية عالم القراءة لدى الأسرة المصرية اطفالاً وشباباً ورجالاً ونساءً..

وكان صدور مكتبة الأسرة ضمن مهرجان القراءة للجميع منذ عام ١٩٩٤ إضافة بالغة الاهمية لهذا المهرجان كاضخم مشروع نشر لروائع الأدب العربى من أعمال فكرية وإبداعية وايضاً تراث الإنسانية الذى شكل مسيرة الحضارة الإنسانية مما يعتبر مواجهة حقيقية للأفكار المدمرة.

هكذا كانت مكتبة الأسرة نافذة مضيئة لشباب هذه الأمة على منافذ الثقافة الحقيقية فى الشرق والغرب وعلى ما انتجته عبقرية هذه الأمة عبر مسيرتها التنويرية والحضارية..

إن مئات العناوين وملايين النسخ من اهم منابع الفكر والثقافة والإبداع التى تطرحها مكتبة الأسرة فى الأسواق باسعار رمزية اثبتت التجربة ان الأيدى تتخاطفها وتنتظرها فى منافذ البيع ولدى باعة الصحف لهو مظهر حضارى رائع يشهد للمواطن المصرى بالجدية اللازمة والرغبة الأكيدة فى الإسهام فى ركب الحضارة الإنسانية على ان ياخذ مكانه اللائق بين الأمم فى عالم اصبحت السيادة فيه لمن يملك المعرفة وليس لمن يملك القوة.

د. سمير سرحان

الجزء الأول

الكلمة

المنظر الأول

الساحة فى بغداد . فى عمق المشهد الأيمن جذع شجرة يتعامد عليه فرع قصير منها . لا يوحى المشهد بالصليب التقليدى . بل بجذع شجرة فحسب . معلق عليه شيخ عجوز . تضىء مقدمة المسرح ليبرز ثلاثة من المتسكعين .

التاجر : انظر .. ماذا وضعوا فى سكتنا

الفلاح : شيخ مصلوب
ما أغرب ما نلقى اليوم

الواعظ : يبدو كالغارق فى النوم

التاجر : عيناه تنسكبان على صدره

الواعظ : وكأن ثقلت دنياه على جفنيه
أو غلبته الأيام على أمره

التاجر : فحنا الجذع المجهود ، وحدق فى الترب

الواعظ : ليفتش فى موطىء قدميه عن قبره

أجعلها فى الجمعة القادمة

موعظتى فى مسجد المنصور

« تضىء مقدمة المسرح اليمنى ، حيث نجد فيها مجموعة من الناس يتقدمهم مقدمهم »

فلنسأل هـذا الجمع •••

يا قـوم •••

« يتقدمون نحوه خطوة فى حركات بليدة »

من هـذا الشيخ المصلوب ؟

مقدم المجموعة : أحـد الفقراء

الواعـظ : هل تعرف من قتـله ؟

المجموعـة : نحن القتـله

الواعـظ : لكنكمو فقراء مثـله

المجموعـة : هـذا يبدو من هيئتنا

مقدم المجموعة : انظر •• انى أعمى

أتسول فى طرقات الكرخ

واحدمنالمجموعة : « يتقدم خطوة • وهو يتحدث وكأنه يقدم نفسه ، ثم يتراجـع بعد أن يتم كلمتـه • ويتكرر هذا مع كل منهم »

وأنا قـراد

آخـــــبر : وأنـا حـداد

ثالـــــث : وأنـا حجـام

رابـــــع : وأنـا خدام فى حمام

خـــامس : وأنـا نجـار

ســــادس : وأنـا بيطـار

التـــاجر : هل فيكم جـلاد ؟

المجموعـــــة : « تتبادلون النظر ، ثم يقولون فى صـوت واحد »

لا .. لا ..

التـــاجر : أبأيديكم ... ؟

المجموعـــــة : بل بالكلمـات

التـــاجر : « ضاحكا ، وناظرا الى زميله »

قتلوه بالكلمـات ...

هـا .. هـا .. ها ..

مقدم المجموعة : أقتلناه حقـا بالكلمات ... ؟

لا ندرى ، واليكم ما كان
فى هـذا اليوم •••

المجموعـــة : صفونا •• صفا •• صفا
الأجهر صـوتا والأطول
وضعوه فى الصف الأول
ذو الصوت الخافت والمتوانى
وضعوه فى الصف الثـانى
أعطوا كلا منا دينارا من ذهب قانى
براقا لم تلمسه كف من قبل
قالوا : صيحوا •• زنديق كافر
صحنا زنديق •• كافر
قالوا : صيحوا فليقتل انـا نحمـل دمه فى رقبتنـا
فليقتل انـا نحمل دمه فى رقبتنا
قالوا : أمضـوا فمضينا
الأجهر صـوتا والأطول
يمضى فى الصف الأول
ذو الصوت الخافت والمتوانى
يمضى فى الصف الثـانى
((مع ألفاظهم الأخيرة يخرجون من المسرح))

التـــــاجر : هــل أدركنــا شــيئا

« يضيء جانب آخر من المسرح ، وتبدو منه ، مجموعة من الصوفية »

الواعـــــظ : لا ، أنــا لم أفهم

الفـــــلاح : فلنسأل هــذا الجمع

من أنتم ... ؟

مجموعة الصوفية : نحن القتــلة

أحببنـــاه ، فقتلنـــاه

الواعـــــظ : لا نلقى فى هذا اليوم سوى القتله

ولعلكم أيضــا حين قتلتم هــــذا الشيخ المصــلوب

المجموعــــة : ... قتلناه بالكلمــات

الفـــــلاح : زاد الأمر غرابه !

المجموعــــة : أحببنــا كلمــاته

أكثر مما أحببنـــاه

فتركناه يموت لكى تبقى الكلمات

التـــــاجر : من أنتم ؟

المجموعــــة : أصحاب طريق مثله

الواعـــظ : هل خفتم لما صاح الفقراء
فنكرتم أمره ؟
المجموعـــة : خفنا .. لا .. لا ..
لا يخشى الموت سوى الموتى
أنفذنا ما أوصانا به
الواعـــظ : أوصـاكم به .. ؟
مجموعة الصوفية : كنا نلقاه بظهر السوق عطاشا فيروينا ..
من مـاء الكلمـات
جوعى ، فيطاعمنـا من أثمـار الحكمـة
وينادمنا بكئوس الشوق الى العرس النورانى
الواعـــظ : عجبا لا أفهـم !
« ملتفتـا الى زميليـه »
هل تفهم أنت .. وأنت ؟
« يهـزان رأسـيهما »
مقدم المجموعة : لا تبغ الفهم ... اشعر وأحس
لا تبغ العلم ... تعرف
لا تبغ النظر ... تبصر

هــذى كانت كلمــاته

الواعـــــظ : كلمات تدعوكم أن تتخلوا عنه

مقدم المجموعة : كان يقول :

اذا غسلت بالدماء هامتى وأغصنى
فقد توضأت وضوء الأنبياء
كان يريد أن يموت ، كى يعود للسماء
كأنه طفل ســماوى شريد
قد ضل عن أبيه فى متاهة المساء
كان يقول :
كأن من يقتلنى محقق مشيئتى
ومنفذ ارادة الرحمن
لأنه يصوغ من تراب رجل فان
اســطورة وحكمــة وفكره
كان يقول :
ان من يقتلنى سيدخل الجنان
لأنــه بسيفه أتم الدوره
لأنه أغاث بالدما اذ نخس الوريد
شجيرة جديبة زرعتها بلفظى العقيم

فدبت الحياة فيها ، طالت الأغصان .
مثمرة تكون فى مجاعة الزمـان
خضراء تعطى دون موعد ، بلا أوان
وحينما أسلمه السـلطان للقضاه
ورده القضـاة للسلطان
ورده السـلطان للسجان
ووشيت أعضاؤه بثمر الدمـاء
تم له ما شـاء
هل نحرم العـالم من شهيد ؟
هل نحرم العـالم من شهيد ؟

الواعـــظ : أو لم يحزنكم فقده .. ؟

المجموعـــة : أبكانا أنـا فارقنـاه
وفرحنا حين ذكرنا أنـا علقناه فى كلماته
ورفعناه بهـا فوق الشجره

أفراد المجموعـة : وسنذهب كى نلقى ما استبقينا منها
فى شق محاريث الفلاحين
ونخبئها بين بضاعات التجار

ونحملها للريح السواحة فوق الموج
وسنخفيها فى أفواه حداة الابل ...
الهائمة على وجه الصحراء
وندونها فى الأوراق المحفوظة بين
طوايا الثوب
وسنجعل منها أشعارا وقصائد

المجموعة : قل لى .. ماذا كانت تصبح كلماته
لو لم يستشهد ؟

« يغادرون المسرح مع الأبيات الأخيرة من أول » :

« وسنذهب ... »

« يدخل من خلف الشجرة شيخ فى يده وردة »

التاجر : من هذا ؟

الواعظ : هذا الشبلى .. شيخ الزهاد
كان له اقطاع فى قريتنا
وتخلى عنه لكى يمضى فى طرق الصوفيه
فلننظر ما يفعل

الفلاح : قد نعرف عندئذ ما القصه

الشـــــبلى : يا صاحبى وحبيبى

« أو لم ننهك عن العالمين »

فمـا انتهيت

قد كنت عطرا نائما فى وردته

لم انسـكبت ؟

وردة مكنونة فى بحرها

لم انكشـفت ؟

وهل يساوى العالم الذى وهبته دمك

هـذا الذى وهبت ؟

سرنا معا على الطريق صاحبين

أنت سـبقت

أحببت حتى جـدت بالعطـاء

لكننى ضننت

حين رأيت النور تقت للرجوع

ها أنت قـد رجعت

أعطيك بعض ما وهبت للحياة ..

بعض ما أعطيت

« يلقى اليه وردة حمراء »

ربــاه لا أستطيع أن أمد ناظرى
يجول فى روحى وفى خواطرى
لو كان لى بعض يقينك
لكنت منصــوبا الى يمينك
لكننى استبقيت حينما امتحنت عمرى
وقلت لفظا غامضــا معناه
حين رموك فى أيدى القضــاه
أنــا الــذى قتلتــك
أنــا الــذى قتلتــك

« يخــرج »

الفـــــلاح : عجبا لم ندرك شــيئا

التـــــاجر : لن ترضى زوجتى عنى الليلة

الواعـــــظ : ضاعت عظتى الا أن أتبع هــذا الشيخ الطيب فيحدثنى بالقصــة
يا شيخ ... ما القصة ... ما القصة ...
من قاتل هذا الرجل المصلوب ؟ ..
هل ندركه ، فيحدثنا .. ؟

« ينطلقون خلفــه »

(ســـستار)

المنظر الثـانى

« بيـت الحـلاج »

« الحلاج وصديقه الشبلى يتحدثان ، وقد ارتدى كل منهما خرقة الصوفيـة ، شيخان فى اواخر العمر »

الشـــبلى : ... يا حـلاج ، اسمع قولى

لسنا من أهـل الدنيا ، حتى تلهينا الدنيـا

أسرعنا لله الخطو العجـلان ، فلمـا أضنانا

الشـوق الظمـآن

طرنـا بجنـاحين

ولمسنا أهـداب النور

هل نبصر عندئذ من قلب غمامتنا الفضــيه

الا أشباحا حائلة تذوى فى وهج العرفـان

وظلالا زائلة لا تمسكها الأجفان.

الحـــلاج : لكن .. يا أخلص أصحابى ، نبئنى ...

كيف أميت النور بعينى
هذى الشمس المحبوسة فى ثنيات الأيام ؟
تثاقل كل صباح ، ثم تنفض عن عينيها النوم
ومع النوم ، الشــفقه
وتواصل رحلتها الوحشية فوق الطرقات
فوق الساحات ، الخانات ،المــارستانات ،
الحمامــات
وتجمع من دنيــا محترقــه
بأصابعها الحمراء الناريــة
صورا ، أشباحا ، تنسج منها قمصانا ،
يجرى فى لحمتها وسداها الدم
فى كل مساء تمسح عينى بها
توقظنى من سبحات الوجــد
وتعود الى الحبس المظــلم
قــل لى يا شــبلى
أأنــا أرمــد ؟

الشـــــبلى : لا ، بل حدقت الى الشمس
وطريقتنا أن ننظر للنور الباطن

ولذا ، فأنا أرخى أجفانى فى قلبى
وأحدق فيه ، فأسعد
وأرى فى قلبى أشجارا ، وثمارا
وملائكة ، ومصلين ، وأقمارا
وشموسا خضراء وصفراء وأنهارا
وجواهر من ذهب ، وكنوزا ، من ياقوت
ودفائن وتصاوير .
كل فى أعلى سمته
أو فى أبهى هيئاته

الحلاج : هل تدرى يا شيخى الطيب
لم نور ربى قلبك ؟

الشبلى : هذا حالى يا حلاج
لن تحسدنى ومعاذ أخوتنا أن يخطر فى بالك
أن تحصى ما يلقى عبد من نعمة مولاه
لكن لا تسألنى أيضا ... ما يدرينى ؟
أحوال الصوفيين مواهب

الحارس : لا ، انى أشرح لك

لم يختار الرحمن شخوصا من خلقه
ليفرق فيهم أقباسا من نوره
هذا ، ليكونوا ميزان الكون المعتل
ويفيضوا نور الله على فقراء القلب
وكمـا لا ينقص نـور الله اذا فاض على أهـل النعمـة
لا ينقص نـور الموهـوبين اذا ما فـاض على الفقراء

الشـبلى : لا ، يا حـلاج
انى أخشى أن أهبط للناس
قد أبسط أجفانى فوق الدنيا
فأرى ، يسراها ، اتمنى النعمى واليسرى
وأرى عسراها ، أتوقى العسرى
ويموت النور بقلبى

الحـلاج : هبنا جانبنا الدنيـا
ما نصنع عندئذ بالشر ؟

الشـبلى : الشر

ماذا تعنى بالشر ؟

الحـــــلاج : فقر الفقراء

جوع الجوعى ، فى أعينهم تتوهج ألفـاظ
لا أوقن معناها

أحيانا أقرأ فيهـا
« ها أنت ترانى
لكن تخشى أن تبصرنى
لعن الديـان نفاقـك »
أحيانا أقرأ فيهـا
« فى عينـك يذوى اشـــفاق ، تخشى أن
يفضـح زهـوك
ليسامحك الرحمن »
قد تدمع عينى عندئذ ، قد أتألم
أما ما يملأ قلبى خوفا ، يضنى روجى فزعا
وندامـه
فهى العين المرخـاة الهدب
فوق استفهام جـارح
« أين الله » ... ؟

والمسجونون المصفودون يسوقهمو شرطى
مذهوب اللب
قد أشرع في يده سوطا لا يعرف من فى
راحته قد وضعه
من فوق ظهور المسجونين الصرعى قد رفعه
ورجال ونساء قد فقدوا الحرية
تتخذتهم أرباب من
دون الله عبيدا سخريا
يا شبلى
إلشر استولى فى ملكوت الله
حدثنى .. كيف أغض العين عن الدنيا
الا أن يظلم قلبى ؟

الشبلى : مهلا .. مهلا
بل أنت الآن على حافة أن يظلم قلبك

الحلاج : لا ، بل انى أتنور من رأسى حتى قدمى

الشبلى : صمتا ، واليك جوابك كى ترتد الى نفسك
هل تسألنى من ذا صنع الفقر ؟
من ألقى فى عين الفقراء ؟

كلمـــات تفزع من معناها
واليك جواب ســؤالك .
الظـــلم ...
هل تسألنى من ذا صـــنع القيــد الملعون ،
وأنبت سوطا فى كف الشرطى ؟
واليك جواب ســؤالك :
الظـــلم
هل تسألنى من ذا صنع الاستعباد ؟
الظـــلم ...
لكننى ألقى فى وجهــك
بســؤال مثل ســؤالك
قل : من صـــنع الموت ؟
قل : من صنع العلة والداء ؟
قل : من وســم المجذومين ؟
والمصروعين ؟
قل : من ســمل العميان ؟ .
من مد أصابعه فى آذان الصم ؟
من شـــد لسان البكم ؟

من ســود وجه السود ؟
من صفر وجه الصفر ؟
من ألقانا فى هذى الدنيا مأسورين
لنغص بمشربنا ، ونشاك بمطعمنا
تتنفس أبشع رائحــة مصاعدة من رجــع
حلوق الموتى
الموتى الأحياء المقتولين القتلة
الكذابين الخوانين ، لصــوص الأطفــال
ومنتهكى الحرمات ، وتجار الدم
وزنــاة الليل وقوادى القرباء
وجبــاة بيوت المــال
ومرابيى الأسواق وبياعى الخمر
من ألقانا بعد الصفو النورانى
فى هذا المــاخور الطافح
من •• من •• ؟
الحـــــلاج : لا •• لا •• لا أجرؤ
أتريد تقول ••
لا •• لا ••

لا تملأ نفسى شكا يا شبلى

الشـــــبلى : بل انى أملأها علما ويقينا

يا حـــلاج

الشر قديم فى الكون

الشر أريد بمن فى الكون

كى يعرف ربى من ينجو ممن يتردى

وعلينا أن يتدبر كل منا درب خلاصه

فاذا صادفت الدرب فسر فيه

واجعله سرا ، لا تفضح سرك

الحـــــلاج : يا شـــبلى

دعنى أتأمل فيما قد قلت الآن

ها أنت تزلزلنى فى دارى

والسوق يزلزلنى ان أترك دارى

كلماتك تجذبنى يمنه ...

وعيونى تجذبنى يسره ..

((مناد ينادى بالخـــارج))

ابراهيـــــم : هل أدخل يا شيخى ؟

الحـــــلاج : ما أجمل خلوة روحينا يا شبلى
ما أحلى أن تتكاشف ، لكن الأيام ضنينه
ومواجـدنا لا تنفـد
فليشـــهدنا ابراهيم
هل تعرفه ، شاب من أهل الله ...

الشـــــبلى : وأحبـه

الحـــــلاج : ادخل يا ابراهيم

« يدخل ابراهيم بن فاتك ، منزعج الخـاطر مسرعا »

الحـــــلاج : ماذا تطوى فى قلبك حتى فاض على سيماك
هدىء من روعك ، فالدنيا عند الشبلى
فى خير ما دمنـا فى خير

ابراهيـــــم : ما أصبحنا فى خير بعد الآن
قد كنت أزور اليوم القاضى ابن سريج
نبأنى أن ولاة الأمر يظنون بك السوء ...

الحـــــلاج : بى يا ابراهيم ؟ ..

ابراهيـــــم : .... ويقولون

هذا رجل يلغو فى أمر الحكام
ويؤلب أحقـاد العامـة
ورجـائى أن أنبيك رجاءه
بالحيطـة والكتمـان

الحـــلاج : ماذا نقموا منى ؟
أترى نقموا منى أنى أتحدث فى خلصائى
وأقول لهم ان الوالى قلب الأمة
هل تصلح الا بصـلاحه
فاذا وليتم لا تنسوا أن تضعوا خمر السلطة
فى أكواب العدل ؟
أترى نقموا منى تدبيرى رأيى فى أمر الناس
اذ أشهدهم يمشون الى الموت
لكن توجههم للموت يباعدهم عن رب الموت

ابراهيـــم : زعموا أن قد أرسلت رسائل سريه
لأبى بكر المـاذرائى ، والطولونى ، ولحمد القنـائى
وسواهم ممن يطمح للسلطه

الحــــلاج : هم بعض وجوه الأمــه
وهمو أيضا خلصائى ، أحبابى
وعدونى ان ملكوا الأمر
أن تحلو سيرتهم ويعفوا عن سقط الفعل
أن يعطوا الناس حقوق الناس على الحكام
فنجاوبهم بحقوق الحكام على الناس
هم زهرة آمالى فى هذا العالم يا ابراهيم
الشـــبلى : يا حــلاج
لا أدرى للصوفى صديقا الا نجوى الليل
وبكاء الخوف من الدنيا
وأناشيد الوجد المشبوب وآهات الذل
وفتوح المحبوب بنور الوصل
فاذا ثقلت فى جنبيه الوحده
فليلزم أهل الخرقة ، أبناء الفاقه
ممن قنعوا باليأس عن الآمــال
طرحوا الافكار ببحر التسليم
حجبوا عن أعينهم هم الرؤيــه
قرآوا ما لم تره العين

قل لى .. يا حلاج
أوثقت بأن وجوه الأمة ممن تعرف
ان ولوا ظلوا أهــل موده ؟

الحـــــلاج : لا يعنينى أن يرعوا ودى أو ينسوه
يعنينى أن يرعوا كلمـــاتى

الشـــــبلى : بل ما يدريــك بأنهمو ان ولوا تســـكرهم خمــر الســلطة
وبأنهمو ما التفوا حولك
الا لكراهتهم من دبر لك

الحـــــلاج : قد خبت اذن ، لكن كلماتى ما خابت
فستأتى آذان تتأمل اذ تسمع
تنحدر منها كلماتى فى القلب
وقلوب تصنع من ألفاظى قدره
وتشـــد بها عصب الأذرع
ومواكب تمشى نحو النور ، ولا ترجع
الا أن تسقى بلعـــاب الشمس
روح الانسان المقهور الموجع

ابراهيـــــم : مولاى

أخشى أن يدركك الكيد الظالم

مـاذا تنوى •• ؟

الحـــلاج : ما يرضاه الرحمن لمخلوق فى صورته ، ذى روح متصف بصفاته

ابراهيـــم : هل يقصـد مولاى خراسان

ويظل بها حتى يهدأ عنه السعى المحموم ؟

الحـــلاج : خراسان •• خراسان

لينور قلبك ربى ، يا ابراهيم

أخراسان •• الجنه

كى يقصدها من أضنته الدنيا ؟

هل ثمت وصفاء بخراسان

كى يقصدها من أمرضه الظلم ؟

ابراهيـــم : مولاى

الظلم بكل مكان

والجنة آخر سعى الانسان

لا أول سـعيه

ها أنت وحيد ، شـيخ مجهود ، أضـناك التطـواف

فى أرجاء الدنيا طلبا للفطنه
ورجعت لتلقى الحمق يسود بكل مكان
يتحرش بك ..
آلاف الحمقى .. آلاف الآلاف
أعداؤنا كثر يا مولاى ؟

الحــــلاج : لكن صحابي أكثر من أعدائى

ابراهيــــم : لا أبصر مخلوقا منهم يا مولاى
الا شيخى الشبلى .. وأنـا
وكلانا مسكين يتحسس خطوه

الحــــلاج : أصحابى أكثر من أن تحصيهم يا ابراهيم
أصحابى آيات القرآن وأحرفه
كلمات المحزون المهجور على جبل الزيتون
أحياء الاموات ، الشهداء الموعودون ،
فرسان الخيل البلق ذوو الأثواب الخضراء
آلاف المظلومين المنكسرين

ابراهيــــم : يا مولاى
فى عصر ملتاث ، قاس ، وضنين

لن يصنع ربى خارقة أو معجزة ، كى ينقذ
جيلا من هلكى
قد ماتوا قبل الموت

الحـــلاج : يا ولدى ، كم أخطأت الفهم !
لا أطــلب من ربى أن يصنع معجــزة ، بل
أن يعطينى جلدا
كى أدرك أصحابى عنده

ابراهيـــم : يا مولاى
خوف لا يسعفنى أن أفهم عنك
هل تأذن لى أن أذهب للمــاذرائى
استرشده فيما تفعل ؟

الحـــلاج : بل تسأل قلبك !

ابراهيـــم : بل ، تأذن لى ، ولك الفضل

الحـــلاج : اذهب ، قل له
يرجوك الحــلاج
أن تحفظه فى قلبك
« يخــرج ابراهيــم »

الشـــبلى : رجل طيب ..

ويحبك

الحلاج : يقصيه هذا عنى

أحيانا يخطىء سبل الحب

ويحب الله بشخصى

الشبلى : ماذا تعنى .. ؟

الحلاج : لو أحببنى فى الله

بدلا من حب آلهى فى

لم يفزع ، لم ينصحنى بالهجرة لخراسان

الشبلى : هذا حق

لا أنصح بخراسان

قل لى يا حلاج

هل ما اشتقت الى الحج ؟

الحلاج : الحج ...

هل أوقد قلبى نارا الا الحج ؟

هل أنضج قلبى الا وقد الصحراء وسعى الرمضاء

والصوم الى أن أغفى الجسم الناحل فى جذع النخلة

فى أرض مدينتـــه الخضراء
ولدت كلمات الله هناك بقلبى المثقل
فأتيت بها ، طوفت بأرض الناس
عن فتنة طلعتها أنضو أطراف ثيابى شيئا شيئا
سأخوض فى طرق الله
ربانيا حتى أفنى فيه
فيمد يديه ، يأخذنى من نفسى
هل تسألنى ماذا أنوى ؟
أنوى أن أنزل للناس
وأحدثهم عن رغبة ربى
الله قوى ، يا أبناء الله
كونـــوا مثـــله
الله فعول يا أبناء الله
كونوا مثله ..
الله عزيز يا أبناء الله

الشـــــبلى : خفف من غلوائك يا شيخ
فلقد أحرمت بثوب الصوفى عن الناس

الحـــــلاج : تعنى هــذى الخرقــة
ان كانت قيدا فى أطراف

يلقيني في بيتي جنب الجدران الصماء
حتى لا يسمع أحبابي كلمـاتي
فأنا أجفوها أخلعها .. يا شيخ
ان كانت شارة ذل ومهانه
رمزا يفضح أنـا جمعنا فقر الروح الى فقر
المـال
فأنا أجفوها ، أخلعها ، يا شيخ
ان كانت سترا منسوجا من انيتنا
كي يحجبنا عن عين النـاس ، فنحجب عن
عين الله
فأنا أجفوها ، أخلعها ، يا شيخ
يـارب اشـهد
هـذا ثوبـك
وشعار عبوديتنا لك
وأنـا أجفوه ، أخلعه في مرضاتك
يـارب اشـهد
يـارب اشـهد
« يخـلع الخرقـة »
« سـتار »

المنظر الثالث

« نهارا . الساحة فى بغداد . الواعظ والتاجر والفلاح يتسكعون »

الواعظ : وألزم كل صاحب بيت
بأن يلقى بدينار لبيت المال
لكى يثبت حق الملك

الفلاح : وهل أثبت حق الملك للقصرين فى بغداد
وللبيت المشيد فى نواحى الكرخ ؟

الواعظ : سؤالك ساذج اذ دار فى ذهنك

التاجر : وجهرك بالسؤال يدل أنك ساذج صغير

الواعظ : ولو جاوبت أو علقت كنت الساذج الأكبر

التاجر : يقال بأن بعض وجوه أهل الفضل
سعوا فى القصر حتى يستتب العدل

الفـــــلاح : وهل هم أهل عدل فى ضياعهسو وثروتهم
مع الخدام والأتباع والأجراء والغلمان

الواعـــــظ : ســؤال ساذج ثان

التــــاجر : اذن ، فالكون قد قام على العدوان
ولا جدوى ، فما فى الوسع الا الاحتيــال
عليــه
وأن ندعو رب العرش أن يصرفه عنا

« يميلون الى جهة من المسرح ويدخل ثلاثــة آخـرون أحـدب واعرج وأبرص ، وهم من افراد المجموعـة الذين ظهـروا فى المشـهد الأول » .

الأحـــــدب : نعم ، انى أحب الشيخ
ولكن أســائل نفسى الحيرى
تــرى يســطيع أن ينصب ظهـرى بعــد
ما أحــدب ؟

الأعـــــرج : أحس اذا سمعت حديثه الطيب
بأنى قادر أن أثنى الساق ، وأن أعدو ،
وأن ألعب

بلى ، فلقــد أحس بأننى طـير طليــق فى
سـماواته
ولكنى اذا فارقت محفله تبدت لى
ظــلال الشــك فى حــالى
وعدت أجر ساق العجز ، يعرج خطوهــا
المتعب
على دقات ساق الفقر والاملاق

الأبــــرص : كأن الشمس حين أراه قد سمعت ضراعاتى
وقــد صبغت مذلاتى
وصرت أجوس فى الطرقات مختالا ، نضير
الوجه وردى الذراعين
بلا سوء ولا وسم بسيمائى
ولكنى اذا فارقته لملمت ثوبى فوق أعضائى
ولذت بستر مسغبتى واعيائى وأدوائى

« يميلون الى جهة ثانية من جهات المسرح »

« يدخل ثلاثة من المتصوفين »

الأول : ولكن شيخنا قد خلع الخرقة

الثــانى : وهبه خـلع الخرقــة ..

ترى هل خلع القلب الذى وسد فى الخرقه ؟
أو الله الذى يحيا بهذا القلب ؟

الثـــالث : ولكن تلك شارتنا ، ورتبتنا التى نزهى
بها ، ونحس أنـا حين نلناها
خلعنا الكون ، فصصنا جناحى توقنا النزاع
نذرنا نفسنا للحج ، أخرمنا للقيا النور
فان أسعفنا الحـال ، ونلنا ما تمنينا
فذلك حظنـا الموفـور
طاب البحر والرحـلة والمرفـأ.
وكان البيرق المنشـــور
رايتنا ، لواء سفيننا .. الخرقه
وان عاندنا التيار ، واستعصى على النوتى
ادراك الطريق ، تملس النجم السماوى
وأخفى وجهه الفجر ، وأرخى ستره الديجور
وضل الركب والملاج بين الموج والأنواء
ومتنا ، وانطفت أعيننا الجوفـاء
وحلم النور فوق زجاجها المكسور

فيكفى الننا متنا ، وكفنا برايتنا
كمثل مجاهد مستشهد مقهور

الثـــانى : وهل تمنعنا الخرقة أن نأبه للظلم
وأن نثبت للظــالم
وأن ندفع كيد الشر عن أحبابنا الضعفاء ؟
أما أبصرت بعض السالكين تنعموا بالثوب
وحين استشرفوا للزهد ، وانخلعوا عن اللذة
تشهوا لذة أخبث من كل اللذاذات
تشهوا لذة الانكار للآلام والبشر
وأن يمشوا خفاف الخطو معلويين فوق النفس
وحين تحدثوا استخفوا ورا الخرقه

الثـــالث : تقول الحق ، لكني أخشى ان خلعناها
بأن نصبح كالناس ، نجادل فى أمورهم
ونركب متن دنياهم ، ونسترضى رءوسهم
وللغو فى سياستهم ، وندلو من سفيههم
وقد تبتل أيدينا بوبل من شرورهم
وقد يفسد قربهمو الذى للنا يبعدهم

الأول : هنا ، توقفني الحيرة عن أن أقطع الأمرا !.
فماذا لو طرحنا همنا للشيخ حين يجيء
وهـذا وقت أوبته من المسجد
« ينتحـون جانبـا »
« صوت الحلاج من اقصى المسرح »

الحـلاج : الى الىّ يا غرباء .. يا فقراء .. يا مرضى
كسيرى القلب والأعضاء ، قد أنزلت مائدتى
الى الى
لنطعم كسرة من خبز مولانا وسيدنا
الى الى ، أهديكم الى ربى
وما يرضى به ربى

« يتجمع الناس ويدخل ثلاثة آخرون ، يبدو عليهم التربص . ملابسهم موحـدة ، ويبدو أنهم من الشرطـة ، يعـرف ذلك من عيونهم وتهامسهم وقربهم من بعضهم البعض »

التـاجر : من هـذا الشيخ الصـارخ

الفـلاح : يهدينا ـ فيما يزعم ـ لله
شيخ مجذوب ، كم نلقى من أمثاله

في ســوق الشحاذين

التـــــاجر : هيــا نــذهب

فلقد خلفت ابنى فى دكانى

وهو ضعيف العقــل

ان جاءته جارية حسناء

أعطاها ما قيمته خمس قطع

بثــلاث أو أربــع

الفـــــلاح : وأنــا قد بعت الحنطة فى السوق اليوم

وأريد العودة لعيالى فى ظاهر بغداد

بالمـــال سليما قبل الليل

لو أبطـــأت لقادتنى رجلاى

للخمارة حيث أذيب نقودى

فى كأس أو أدفنها فى تكة سروال

الواعـــــظ : جازاك الله ، فما قلتــه

قد ألهمنى عظة الأسبوع القادم

ما أحلاها من موعظة مسبوكة

عن فلاح باع الحنطة فى السوق

أغــواه الشـــيطان
فزنا بالمـــال ، وعـــاد ليلقى الصبية جوعى
فبكى .. و .. و ..
وسيلهمنى الله الباقى
وسأجعل عبرتها ونهايتها
احـــذر كيد النســـوان

((يخرجــون))

((صوت الحلاج يرتفع ، وخطواته تتقدم ، والجمع يتحلق حوله))

أراد الله أن تجلى محاسنه ، وتستعلن أنواره
فأبدع من أثير القدرة العليا مثالا ، صاغه طينا
وألقى بين جنبيه ببعض الفيض من ذاته
وجلاه ، وزينه ، فكان صنيعه الانسان
فنحن له كمرآة ، يطالع فوق صفحتها
جمال الذات مجلوا ، ويشهد حسنه فينا
فان تصف قلوب الناس ، تأنس نظرة الرحمن
الى مرآتنا ، ويديم نظرته ، فتحيينا
وان تكدر قلوب الناس يصرف وجهه عنا

ويهجرنــا ، ويجفونــا ..
وماذا يفعل الانسان ان جافاه مولاه ؟
يضيق الكون فى عينيه ، يفقد ألفة الأشياء
تصير الشمس فى عينيه أذرعــة من النيران
يلقى ثقلها المشاء
على وجه السما والأرض ألوانا من اللهب
ويضحى البدر دائرة مهشــمة رماديــه
من القصدير ميتة وملقاة على بيداء
فقد جفت عيون الناس ، أضحت نقطة سوداء
وتذوى أذرع الأشجار ، تلقى حملها للأرض
وتدفنه كمجهضة تكفن عارها فى الطين
ويمشى القحط فى الأســواق ، يجبى جزية
الأنفـاس
من الأطفــال والمرضى
حقيبته بلا قــاع ، فلا تملأ اذ تعطى
ورغبته بلا رى ، فلا تسكت أن تسأل
وخلف القحط يمشى تحت ظل البيرق المرسل
جنود القحط ، جيش الشر والنقمــة

خلائقهم مشوهة ، كأن الذيل فوق الراس
يقود خطاهمو ابليس،وهو وزير ملك القحط
وليس القتل والتدجيل والسرق
ولبس خيانة الأصحاب والملق
وليس البطش والعدوان والخرق
سوى بعض زعايا القحط ، جند وزيره ابليس
تعالى الله ، قد يأنف أن ينظر فى مرآتنا ذاته
فيصرف وجهـه عنا
فكيف اذن نصفى قلبنا المعتم ؟
ليستقبل وجه الله ، يستجلى جمالاته
نصلى .. نقرأ القرآن
نقصد بيته ، ونصوم فى رمضان
نعم ، لكن هذى أول الخطوات نحو الله
خطى تصنعها الأبدان
وربى قصـده للقلب
ولا يرضى بغير الحب
تأمل ، ان عشقت ألست تبغى أن تـكون
شـبيه محبـوبك

فهـذا حبنـا لله
أليس الله نـور الكون
فكن نـورا كمثل الله
ليستجلى على مرآتنا حسنه

شـــرطى :
« مقاطعـا »
ولكن شيخنا الطيب ، هل ربى له عينان
لكى ينظر فى المرآة ؟

الحـــلاج : ولكن ولدى الطيب ، هل قفل على قلبك
حتى ينطق القرآن
« أم على قلوب أقفالها » ؟

شرطى آخـر : أجدت الرد ، كيف اذن تظن الله
بلا نعت ولا تشـبيه ؟

الحـــلاج : أظن الله ، كيف ، ونوره المصباح
وظنى كوة المشـكاه
وكونى بضعة منه تعود اليه

الشـــرطى : اتعنى أن هـذا الهيكل المهـدوم بعض منه
وأن الله جل جلاله متفرق فى الناس ؟

الحـــــــلاج : بلى ، فالهيــكل المهــدوم بعض منــه ان طهــرت جوارحــه

وجل جلاله متفرق فى الخلق أنوارا بلا تفريق

ولا ينقص هذا الفيض أدنى اللمح من نوره

شرطى ثالث : فأنت اذن آله مثله ما دمت بعضا منه ؟

الحـــــــلاج : رعاك الله يا ولدى ، لمــاذا تستثير شجاى

وتجعلنى أبوح بسر ما أعطى

ألا تعلم أن العشق سر بين محبوبين

هو النجوى التى ان اعلنت سقطت مروءتنا

لأنــا حينما جاد لنا المحبوب بالوصل تنعمنا

دخلنــا الستر ، أطعمنا وأشربنــا

وراقصنا وأرقصنا ، وغنينا وغنينا

وكوشفنا ، وكاشفنا ، وعوهدنا وعاهدنا

فلمــا أقبــل الصبح تفرقنــا

تعاهدنا ، بأن أكتم حتى أنطوى فى القبر

الشــــــرطى : كفى ، يا شيخ هذا القول عين الكفر ..

الحــــلاج : عين الكفر .. ويلك .. هذا القول لى ، فاســمع

وان كنت سألقى الهول لو كشفت وجه السر
أجل لا ، بل ويلتى جرجرت من زهوى الى حتفى
ولكن .. كيف .. هل أترك هـذا اللفظ ملقى فوق أثوابى ؟
اذن ، فاسمع ، وقل فى الأمر ما ترضاه
لقد أحببت من أنصف
فأعطـانى كمـا أعطيت

الشـــرطى : يا أهل الاسلام .. هذا شيخ زنديق

شـرطى ثـان : فلنأخـذه للسـجن

شرطى ثالث : هيا .. يا كافر

أحد الصوفية : لا .. يا قـوم
هـذا سكر الصـوفيه
فاض القلب فعربد
غلب الوجد القصد

الشـــرطى : هـذا لغو أجـوف
فلنحم الدين من الكفرة

صـــــوفى : « للمجتمعين. »
يا قــوم
هذا الشرطى استدرجه كى يكشف عن حاله
لكن هل أخذوه من أجل حديث الحب ؟
لا ، بل من أجل حديث القحط
أخذوه من أجلكمو أنتم
من أجل الفقراء المرضى ، جزية جيش القحط
الأعـــــرج : هذا حق فالشرطة خدام السلطان
ما للشرطة والحب
فلنطلقه من أيديهم
« ضجـة وتلويح بالأيدى توشـك ان تصبح مقتـله »
الحـــــلاج ، لا ، يا أصحـابى
لا تلقوا بالا لى
أستودعكم كلمـاتى
عودوا .. عودوا ..
ودعونى حتى تنفذ فى بدنى
لتؤدبنى

ألفاظ عتاب المحبوب النارية

الأبـــــرص : « لأحد الصوفية »
مـــاذا قـــال ؟

الصـــــوفى : مازال بحـــال الوجد ..
يتحدث من قلبه

الشـــــرطى : يا قـــوم
الشيخ أقر بجرمه
فدعوه يمضى ليؤدب
يا شـــيخ ..
هل أقررت بجرمك ؟

الحـــــلاج : هـــذا حق يا ولدى ..
فلقد أجرمت بحقـــه
اذ أفشـــيت السر

الشـــــرطى : أســـمعتم ! ..

الحـــــلاج : عاقبنى يا محبوبى انى بحت وخنت العهد
لا تغفر لى ، فلقد ضاق القلب عن الوجد
لكن عاقبنى كعقاب الخصم خصيمه
لا كعقاب المحبوب حبيبه

لا تهجرنى ، لا تصرف عنى وجهك
لا تقتل روحى بدلالك
اجعل بدلى الناحل أو جلدى المتغضن
أدوات عقــابك

« يتقدم الحــلاج امام الشرطة كأنه يقودهم ، والجمع يتبعه ، وحين يشارف نهاية المسرح يرتفع صوت احد الصوفية » .

الصــــــوفى : هل نتركه للشرطة ؟

صــوفى آخــر : هــذا ما أوصانا به

« يخرج الصــوفية وهم يرددون ، هــذا ما اوصانا به »

الأبـــــــرص : مــاذا نفعــل ؟..

الأحــــــدب : ما رأيــك أنت ؟

الأعــــــرج : هل نتبعهم لنرى ما يحدث ؟

« يخرجون وهم يرددون ، لنرى ما يحدث »

« يدخل الواعظ مسرعا من اقصى المسرح ، فيدرك الأعرج وهو يتبع زميله »

« للأعرج ، وهو يشد قميصه » يا هذا ..

ماذا كان هنا منذ هنيهه ؟
فلقد جلبتني أصـداء الضجه

الأعــــرج : أخـذته الشرطة ..

الواعــــظ : من ؟

الأعــــرج : الرجـل الطيب

الواعــــظ : ولمـاذا ؟ ..

الأعــــرج : قد كان يحدثنا بحديث القلب
لم يستطع الكتمان ، فباح
دعني أمضي
« يشد قميصه ، وينطلق »

الواعــــظ : « وحده على المسرح » باح ..
بم باح ، لكي تأخذه الشرطة ؟
لا أدري ، وعلى كل فالأيام غريبه
والعاقل من يتحرز في كلماته
لا يعرض بالســوء
لنظام أو شخص أو وضع أو قانون أو قاض
أو وال أو محتسب أو حاكم

(ســتار)

الجــزء الثـــانى

المـــــوت

المنظر الأول

« سجن مظلم ينفتح بابه ليدخل منه الحلاج يدفعه حارس »

الحـــارس : أدخل يا أعدى أعداء الله

الحـــلاج : ليسامحك الله ، فقد أعطيت الحلاج المسكين أعلى من قـدره

الحـــارس : أدخل ، لا تكثر فى القول

ولتجلس بين رفيقيك

« يدخل الحلاج فلا يكاد يبصر شيئا فى الظلمة القاتمـة »

الحـــلاج يا صاحب هـذا البيت

هب ضيفك نورا حتى يكشف موضع قدميه

أو كحل بسنا ذاتك عينيه

يا صاحب هـذا البيت

السجين الأول : « هامسا لرفيقه » هذا رجل مأفون
يتوهم أنـا جئنا فى مأدبة أو حفل

الحـــــلاج : نورا يا صاحب هذا البيت ..

السجين الثانى : أطلب من حارسنا الطيب مصباحا أو شمعة

السجين الأول : « لرفيقه هامسا » لا يدرى أنـا فى قـاع السـجن

السـجين الثانى : لسنا فى قصر الوالى

السجين الأول : أو بيت القاضى

السجين الثانى : أو فى خمارة شط الكرخ

الحـــــلاج : يا صاحب هــذا البيت
قد أبطـأ عن عينى نورك
ان كنت ترى أن أستهدى بالظن
فقد خطواتى

السجين الأول : فليرجو حارسنا الطيب
أن يمسك كفيه بحنان
ويقود خطاه حتى يلقيه
فى ظل الحـائط

ودعا بوزير القصر فأطعمه وأنامه
فتحلب ريق وزير القصر
واستصفى ماله

السجين الثانى : ورماه فى السجن

الحلاج : يا صاحب هذا البيت
شكرا ، لم يبطىء نورك
عليكما السلام ، سيدى

السجين الأول : وعليك ..

« وهو يجلس فى ركن قريب يتمتم ، ثم يعلو صوته »
.. وباسمك اللهم كانت هجرتى ، وسارت الأقدام
بارك لنا اللهم فى الدخول والمقام

السجين الثانى : « هامسا » عرفته
من ذقنه ، وتمتماته ، ولحيته
وذكره اسم الله فى مفتتح الكلام

السجين الأول : ومن يكون ؟ ..

السجين الثانى : قصاص مسجد الرصافة
ذاك الذى ــ فيما رووا ــ قد كان
يؤاخذ الجار بذنب الجار

السجين الأول : ماذا عنيت ؟

السجين الثانى : يطعن ان حركه الغرام
احبابه فى الظهر

السجين الأول : «ضاحكا» آه ، تعنى ابن بقين ..لا..لا..
بل انى أعرف من تعنيه
لا يشبه هــذا الشيخ

السجين الثانى : هل تعرفه معرفة طيبة حقا ؟
يا ويلى ، كيف ترى أغفو جنبك
فلتعلم أنى مهر لم يركب أو يركب
لا بأس بأن أركب
لكنى لا أركب
« يتحرك نحو صاحبه »

السجين الأول : صــــه
لا تهزر فى هذا أو أهشم رأسك

السجين الثانى : رأسى •• من أنت لتهشم رأسى

السجين الأول : لا تعرفنى حتى الآن

ه •• خذ كى تعرفنى

« يعاجله بضربة ، فيمسك الثانى بقدمه ويلويها »

السجين الأول : أطلق قدمى ستكسرها •• سأنادى الحارس

السجين الثانى : لا •• حتى تجعلنى أركب

السجين الأول : أطلق قدمى •• يا حارس •• هذا وحش مجنون

الحلاج : « يتقدم منه ويرجوه »

يا ولدى أرجوك

أطلق قدمه

السجين الثانى : من أجلك يا مولانا القا ••

قل لى •• قاض أنت ؟

الحلاج : قاض •• لا يا ولدى

السجين الثانى : أمعلم مسجد ؟

الحلاج : لا •• كيف أعلم

وأنا لا أعلم

السجين الأول : « وهو يقترب منه هامسا »
من أنت اذن ؟

الحـــلاج : اسمى الحلاج حسين بن المنصور

السجين الثانى : مـاذا تعمـل ؟

الحـــلاج : أتأمل يا ولدى

السجين الأول : شـاعر ؟

الحـــلاج : أحيـانا

السجين الأول : هل تقرأ فى كتب القدماء ؟

الحـــلاج : أحيانا

السجين الأول : هل تبحث فى أسرار الكون ؟

الحـــلاج : بل أشـهدها أحيانا

السجين الأول : مجذوب أنت ؟

الحـــلاج : دوما نحو النور

السجين الأول : هل أنت ولى ؟

الحـــلاج : لا بل مولى
وليى ووليك يشهد

« يتبادل السجينان النظر ، ويهمان ثم يتوقفان ، وبعد برهة ينطلقان فى واحـد »

السجينـــان : ولمـاذا لا تسألنا من نحن ؟

الحـــلاج : أصحابى فى دار الهجره

السجين الأول : ما معنى هـذا ..

الحـــلاج : عشنا حينا فى دار الخوف
تتكتم بين الأضــلاع
سرا نخشى أن تسرقه الأسماع
لكن المسك انسكب بقلب الحلاج وذاع
فخرجت الى دار الهجره

السجين الأول : هـذا رجل طيب
يلقى لفظا لا أدرى معناه
لكنى أشـعر به

السجين الثانى : هذا رجل مسلوب العقل

السجين الأول : لا ، بل رجل طيب
وولى من أهل الله ، وان أنكر

السجين الثانى : اسكت يا أحمق
هذا رجل دجال مسلوب العقل

السجين الأول : لا ، بل أنت الدجال المسلوب العقل

السجين الثانى : أنت غبى أحمــق

السجين الأول : بل أنت عنيد كالبغل

السجين الثانى : بل أنت حمار ينقصه برذعة ولجام
عفوا ، هذى برذعتك
وذراعاى لجامك
هيا احملنى للقصر الأبيض
كى أمدح مولانا والى الشام
بمعلقة من قافية اللام
وأعود بمهر وفتاة وغلام
حا .. حا .. حا .. « يمتطيه فوق كتفيه »

السجين الأول : دعنى .. أو ألقيك الى الأرض
فأهشــم أضــلاعك

السجين الثانى : لن تقدر ، قد أحكمت لجامك
« يلف ذراعيه بعنف حول رقبته »

السجين الأول : دعنى يا مجنون
انك تخنقنى .. انى سأموت

السجين الثانى : فلينقص عندئذ عدد رعية مولانا جحشا

السجين الأول : أنقذنى يا حارس

يا حارس .. يا حارس .. يا حارس

« يعمل القفل فى الباب ، ثم يدخل الحارس ، فيلزم كل منهما مكانه متضائلا »

الحـــارس : من صانع هـذى الضجة ؟

« للسجين الأول »

أنت

السجين الأول : لا ، يا مولاى الوالى

لم أنبس بنت شفه

فأنا أخشى غضبك

وأنزه هذا السمع المرهف

عن صوت السفلة من أمثالى

« يربت الحارس عليه ، ثم يتجه للثانى »

الحـــارس : هو أنت ..

السجين الثانى : لا يا سـيد

فأنا أعرف أحكام الحبس

« الحارس يضع يده على جبهته متأملا ، ثم ينظر للحلاج ويقول »

الحـــــارس : فهو الثالث لابد
هذا أمر •• بالعقل
أنت الصــارخ

الحـــــلاج : لا يا ولدى
بل كنت أحدث نفسى فى صوت خافت

الحـــــارس : خافت •• يا كذاب ؟

الحـــــلاج : لا أكذب يا ولدى قط

الحـــــارس : وتناقشنى أيضا يا كذاب ؟

الحـــــلاج : لا تشتمنى يا ولدى
فالسب خطيئة

الحـــــارس : كذاب •• وفقبه !
خــذ

« يضربه بالسوط ، والحلاج هادىء مبتسم ، يلم ثوبه »

« يزداد الشرطى عنفا ، وتتلاحق ضرباته ، ثم يهتف بالحلاج ، وقد ضاق بهدوئه »

الحـــــارس : لم لا تصرخ ؟

الحـــــلاج : هل يصرخ يا ولدى جسد ميت ؟
الحـــــارس : اصرخ •• اجعلنى أسكت عن ضربك
الحـــــلاج : ستمل وتسكت يا ولدى
الحـــــارس : اصرخ •• لن أسكت حتى تصرخ
الحـــــلاج : عفوا يا ولدى ، صوتى لا يسعفنى .
الحـــــارس : قلت اصرخ •• أنت تعذبنى بهدوئك
الحـــــلاج : فليغفر لى الله عذابك
أيخفف عنك صراخى •• قل لى
ماذا تبغى أن أصرخ •• فأقول ؟
الحـــــارس : استحلفنى بالله ، بأولادى ، بتراب أبى •
أنظر لى نظرة خوف تتبع سوطى ، وهــو يحلق ، ثم يرف ويتهاوى
اسأل لى الله بقاء ، أو سعة فى الرزق ، رقيـا فى الجـاه
اصنع شـيئا يوقفنى ، أرجوك •• اجعلنى أتوقف
فأنا قد أنهكت
« وهو يلهث »

أنهكت .. أنهكت .. أنهكت
ربى .. ما هـذا الاعياء ؟
يا شـيخ
قل لى من أنت ..
أنت الشـيطان ؟
بل أنت ملاك .. جبريل
بل أنت ولى من أهل الله
من أنت ؟ ! ..
من أنت ؟ ! ..
« يتهاوى بجانبه ، ويبكى على كتفيه »
أيا كنت اغفر لى .. اغفر لى ..

الحـــلاج : بل أشكره أن أنصف حالى فى الحب
اذ عاقبنى فى بدنى
« الحلاج ينهض ، ويبتعد قليلا عن الحارس »
يارب
لو لم أسجن ، أضرب ، وأعذب
كيف يقينى عندئذ أنك ترعى عهد الحب ؟
لكنى الآن تيقنت يقين القلب

أنك تنظر لي ، ترعاني ..
ما زالت تستعظمني عينك
ما زلت تراني أخلص عشاقك
عين الله علي
وهداياه موصـولة
وطرائف نعمته مبذولة
فهنيئـا لي
فهنيئـا لي

« الحارس ينسحب متثاقل الخطو من جوار الحـائط ، حتى يقـارب البـاب ، ويلتفت للحلاج قائلا » :

الحــارس : ان لم يأنف مني قلبك

الحــلاج : فاذكرني في صلواتك يا شيخ

« يخـرج »

« يقترب السجينـان من الحـلاج ، يبـدأ السجين الثاني الحديث »

السجين الثاني : سامحنا يا سيد ..

فالسجن يكشف أقبح ما في الإنسان ..

السجين الأول : هل تلعننا فى صلواتك ؟

الحـــــلاج : بل أدعو ربى أن يفرج همكما

السجين الأول : يتردد فى شفتى الآن ســـؤال لا أدرى ما أفعل به

هل تأذن لى أن ألقيه يا سيد ؟

الحـــــلاج : لا تكتم عنى يا ولدى

السجين الأول : أخشى أن يؤذيك سماعه

الحـــــلاج : بل يؤذينى أن تكتم ما فى نفسك

السجين الأول : « بعد تردد »

لم أنت هنا ؟

الحـــــلاج : مقدور يا ولدى ..

السجين الأول : لا أعنى هـــذا .. ساعـدنى .. لفظى لا يسعفنى

أعنى .. لم جاءوا بك ؟

الحـــــلاج : ليتم المقدور ..

السجين الثانى : « مشيرا للأول »

هذا رجل لا يحسن أن يتكلم
يعنى .. ما التهمه ؟

الحـــــلاج : أنى أتطلع أن أحيى الموتى

السجين الثانى : « ساخرا »
أمسيح ثان أنت !

الحـــــلاج : لا ، لم أدرك شأو ابن العذراء
لم أعط تصرفه فى الأجساد
أو قدرته فى بعث الأشلاء
فقنعت باحياء الأرواح الموتى

السجين الثانى : « ساخرا »
ما أهون ما تقنع به !

الحـــــلاج : لم تفهم عنى يا ولدى
فلــكى تحيى جســدا ، حز رتبــة عيسى
أو معجزتــه
أما كى تحيى الروح ، فيــكفى أن تمــلك
كلماتــه
نبئنى .. كــم أحيــا عيسى أرواحــا قبل
المعجزة المشهودة ؟

آلاف الأرواح ، ولكن العميان الموتى
لم يقتنعوا ، فحباه الله بسر الخلق
هبة لا أطمع أن تتكرر

السجين الثانى : وبماذا تحيى الأرواح ؟

الحـــــلاج : بالكلمـــات

السجين الثانى : أتراك تقول ..

صلوا .. صوموا .. خلوا الدنيا ، واسعوا
فى أمر الآخرة الموعوده .
وأطيعوا الحكام وان سلبوا أعينكم يتنزى
منهـــا الـــدم
رصوها ياقوتا أحمر فى التيجان
بشراكم ، اذ ترثون الملكوت
عفوا ، هذا لفظ من ألفاظ شبيهك ..

الحـــــلاج شكرا . تعطينى أعلى من قدرى
لكن فى قولك بعض الحق
فأنا أحيانا أصرخ فيهم : خلوا الدنيا الفاسدة
المهترئـــة

ودعوا أحلامكم تنسج دنيا أخرى

السجين الثانى : دنيا أخرى من صنع الأحلام

الحـــــلاج : الحلم جنين الواقـــع

أما التيجـــان ..

فأنا لا أعرف صاحب تاج الا الله

والناس سواســية عندى

من بينهم يختـــارون رءوسا ليسوسوا الأمر

فالوالى العـــادل

قبس من نور الله ينور بعضا من أرضه

أما الوالى الظـــالم

فستار يحجب نور الله عن الناس

كى يفرخ تحت عباءته الشر

هذا قولى .. يا ولدى

السجين الثانى : أقوال طيبة ، لكن لا تصنع شيئا

أقوال تحفر نفسى ، توقظ تذكارات شبابى

لأرانى فى مطلع أيامى الأولى

هل تدرى يا شيخى الطيب

انى يوما ما .. كنت أحب الكلمات
لما كنت صغيرا وبريئا
كانت لى أم طيبة ترعانى
وترى نور الكون بعينى
وترانى أحلى أترابى ، أذكى أخدانى
فلقد كنت أحب الحكمة
أقضى صبحى فى دور العلم
أو بين دكاكين الوراقين
وأعود لأفاجئها بالألفاظ البراقة كالفخار
المدهون
الجوهر والذات
الماهية والاسطقسات
والقاتيغوريات
« يونانى لا يفهم »
أمى كانت تلتذ بأقوالى تتجرعها أذناها شهدا
يتبسم خداها ، عيناها ، مفرقها المتغضن
ويغرد فى شفتيها صوت لا أسمعه الا فى ذاك
الحين

« الله يصـــونك لى »
« ويمد حياتى حتى أتملاك »
« أستاذا فى بيت الحكمة »
« أو قاضى شرع »
« أو والى ربع »
« أو شيخا صاحب نعمة »
كانت أمى خادمة تجمع كسرات الخبز وفضل
الثوب
من بعض بيوت التجـار
وأنـا طفل لا همـة لى
الا فى هـذا اللغو المـأفون
مرضت أمى ، قعدت ، عجزت ، ماتت
هل ماتت جوعا ، لا ، هذا تبسيط ساذج
يلتذ به الشعراء الحمقى والوعاظ الأوغـاد
حتى يخفوا بمبالغة ممقوته
وجه الصـدق القاسى
أمى ما ماتت جوعا ، أمى عاشت جوعانه
ولذا مرضت صبحا ، عجزت ظهرا ، ماتت
قبل الليـل

الحـــــلاج : فليرحمها الله

السجين الثانى : بل فليلعن من قتلوها ..

الحـــــلاج : قتلوهـــا ؟ ..

السجين الثانى : من أعطـــوا أمى ، ما يـــكفى أن يطعمهـــا أو يطعمنى

من جعلونى آكل لحم الأم لأحيا وأشب

قل لى .. هل تصلحهم كلماتك ؟

الحـــــلاج : هل يصلحهم غضبك ؟

السجين الثانى : غضبى لا يبغى أن يصلح بل أن يستأصل

الحـــــلاج : من تبغى أن تستأصل ؟

السجين الثانى : الأشرار ..

الحـــــلاج : بم تعرفهم ..

السجين الثانى : بتصرفهم

الحـــــلاج : يا ولدى

الشر دفين مطمور تحت الثوب

لا يعرفه الا من يبصر ما فى القلب

نحن هنــا بضعة مخلوقــات فى ركن من
أركان الدنيــا
أنت .. أنــا .. هــذا .. حارســنا ذو
السوط المتدلى من خاصرته
من فينا الشرير .. من فينا الخير ؟
من فينا يستأصله سيفك ، أو يعفيه ويستبقيه
وهب السيف بغير يمينك
بيمينى أو بيمين الحــارس
فمتى نرفعه أو نضعه ؟

السجين الأول : ولمــاذا لم تضعوا سيفا فى كفى ؟

الحــــلاج : من عندئذ تقتل .. ؟

السجين الأول : نفسى .. يا سيد ؟

السجين الثانى : « للأول »
دعنا من هذا الهذر الأجوف

« الحـــلاج »

السجين الثانى : اسمع لى يا شيخ
انك رجــل من أذكى من قــابلت فــؤادا
أثبتهم جارحة عند الشده

وتحب الناس ، لأنك من أجل الناس سجنت
وعــذبت
لكن ، هل تقضى عمرك مقهورا فى ظل
الجدران المربده ؟
كالبومة تنعب فوق خرائب أيام السوء
حتى يأتى حجر طائش
ويهشـــم رأســك
لم لا تهرب ؟

الحـــــلاج : لم أهرب ؟

السجين الثانى : كى تحمل سيفك من أجل الناس

الحـــــلاج : مثلى لا يحمل ســيفا

السجين الثانى : هل تخشى حمل السيف ؟

الحـــــلاج : لا أخشى حمــل الســيف ولكنى أخشى
أن أمشى به
فالسيف اذا حملت مقبضـــه كف عميــاء
أصبح موتــا أعمى

السجين الثانى : ولمــاذا لا تجعل من كلماتك نور طريقه ؟

الحـــــلاج : هب كلماتي غنت للسيف ، فوقع ضرباته
أصداء مقاطعها ، أو رجع فواصلها وقوافيها
ما بين الحرف الساكن والحرف الساكن
تهوى رأس كانت تتحرك
يتمزق قلب في روعة تشبيه
وذراع تقطع في موسيقى سجعه
ما أشقاني ، عندئذ ، ما أشقاني
كلمـــاتي قد قتلت

السجين الثاني : قتلت باسم المظلومين ..

الحـــــلاج : المظلومين ..
أين المظلومون ، وأين الظلمة ؟
أو لم يظلم أحد المظلومين
جارا أو زوجا أو طفلا أو جارية أو عبدا ؟
أو لم يظلم أحد منهم ربه ؟
من لي بالسيف المبصر !
من لي بالسيف المبصر ! ..

السجين الأول : هل تبكي يا سيد ؟.
لا تحزن ، قد ينفرج الحال

الحــــــلاج : لا أبكى حزنا يا ولدى ، بل حيره
من عجزى يقطر دمعى
من حيرة رأيى وضـــلال ظنونى
يأتى شجوى ، ينسكب أنينى
هل عاقبنى ربى فى روحى ويقينى ؟
اذ أخفى عنى نوره
أم عن عينى حجبته غيوم الألفاظ المشتبهه
والأفــكار المشتبهه ؟
أم هو يدعونى أن أختار لنفسى ؟
هبنى اخترت لنفسى ، ماذا أختار ؟
هل أرفع صــوتى ،
أم أرفع ســيفى ؟
مــاذا أختــار ؟ ..
ماذا أختار ؟ ..

« يظلم المسرح تدريجيا ، حتى ينعدم ضــوءه مما يوحى بمرور الأيــام ، ثم ينير تدريجيــا كذلك ، لنرى نفس المشـــهد ، لكن لا نرى السجين الثانى ، ألقت الأيام على المشهد كله مزيدا من التعاسة ، حوائطه وأرضــه وحتى هوائـــه » .

السجين الأول : أيام تسقط في أيام

وشهور تهوى في جوف شهور

منذ ألقينا في هذى البئر الملعونة

الحـــــلاج : كم لك فى السجن ؟

السجين الأول : أيـام قبـلك ..

الحـــــلاج : فلنصبر ، يا ولدى

السجين الأول : لا أدرى لم يضنينى السجن الآن ؟

ألأنى أعلم أن السجان

أولى منى بمكانى

لم لم تتركنى حين دعانى ثالثنا

أن أصحبه فى هربه ؟

الحـــــلاج : لكنى لم أمنعك

بل لم أعرف

السجين الأول : لكنك كنت تحس

ولهذا كنت كثيرا ما تأنس بى

وتقربنى ، فى أول ساعات الليل

وتحدثنى وتحدثنى حتى قيدت خطاى

ولهذا قلت لنفسي ، حين دعاني أن أهرب :
« ماذا يجـدى روحى أن تخرج من سجن
ضـيق
كى تلزم سجنا أهون ضيقا .. ؟ »
لنفسي قـلت :
« ماذا قد أفعل فى كون قد أنكرنى
لم يصبح فى وسعى أن أجد مكانا فيه
الا أن أنكر روحى،أقتل هذا الشىء الغامض
النابت فى قلبى من كلماتك » ؟
ولنفسي قلت :
« ماذا يرجو انسان أكثر من أن يسعد ؟
وأنـا قد كنت سعيدا فى ظلك .. »
يا خيبة سـعيى
يا خيبة سـعيى
أحببتك حتى قيدنى حبك
فى هذا الفخ كأنى فأر مقعد
ليسامحك الله
بكلامك ضيعت حياتى ..

بكلامك ضيعت حياتى ..

الحـــــلاج : يارب

ألهمنى أن أختار

ألهمنى أن أختار

« فى هذه اللحظة ، يدخل كبير شرطة السجن، وبصحبته حارسان »

كبير الشرطـة : أيكما الحـلاج ؟

الحـــــلاج : أنـا يا سـيد

كبير الشرطـة : اليوم يحاكمك قضاة الدولة

فلتمض أمامى ..

الحـــــلاج : هذا أحلى ما أعطانى ربى ..

الله اختـار ..

الله اختـار ..

(ســــتار)

المنظر الثاني

« محكمة كبير القضاة ببغداد قضاتها الثلاثة أبو عمر الحمادى انيق بدين ، وابن سليمان، قصير حفى فى حديثه هادىء الصوت ، وابن سريج ، نحيل حسن السمت ، ثم الحاجب ».

أبو عمر : بسم الله الهادى للحق
وعليه توكلنا
ندعوه أن يهدينا للعدل
ويوفقنا أن ننهض بأماتتنا
يا حاجب ..
لم لم يأتوا بالرجل المفسد حتى الآن ؟

الحاجب : الشرطة يأتون به من باب خراسان
وهم يلتمسون الطرق الخالية من العامة
حتى يتوقوا أهل الفتنة ..

أبــو عمـــــر : الفتنـــة ! ..

ألأن عدوا لله وللسلطان يؤدب

يتجمع أوباش الناس على الطرقات ؟

حقا ! ما أصغر أحلام العامة

الحـــــاجب : رجل كان سجينا معه فى باب خراسان

قد جمعهم منذ صباح اليوم .

أبــوعمـــــر : اهمال من والى الشرطة

لم لم يطلق فيهم أعوانه

الحـــــاجب : هذا ما يفعله الآن

أبــو عمـــــر : كم يبلغ عد العامه ؟ ..

الحـــــاجب : مائة أو مائتان

أبــو عمـــــر : لا .. لا .. لا خوف

لا قبل لهم بمواجهة الشرطه

انظر ، هل جاءوا بالرجل المفسد ؟

الحـــــاجب : ســمعا يا مولاى

« يخـرج »

ابن سريج : « فى صوت خفيض »
أأبا عمر ، قل لى ، ناشدت ضميرك
أفلا يعنى وصفك للحلاج ..
بالمفسد ، وعدو الله
قبل النظر المتروى فى مسألته
أن قد صدر الحكم ..
ولا جدوى عندئذ أن يعقد مجلسنا ؟

أبو عمر : هل تسخر يا ابن سريج ؟
هذا رجل دفع السلطان به فى أيدينا
موسوما بالعصيان
وعلينا أن نتخير للمعصية جزاء عدلا
فاذا كانت تستوجب تعذيره ..

ابن سليمان : عذرناه

أبو عمر : واذا كانت تستوجب تخليده
فى محبس باب خراسان

ابن سليمان : خلدناه

أبو عمر : واذا كانت تستوجب أن يهلك

ابـن سـليمان : أهلكنـاه

أبـو عمـر : لا ، ليس بأيدينا ، اذ نحن قضاة ، لا جلادون
ما نصنعه أن نجدل مشنقة من أحكام الشرع
والسـياف يشـد الحبـل

ابـن سـليمان : هـذا تعبير رائـع
لكن لا يستغرب ان يصـدر عن سـيدنا الحمـادى

أبـو عمـر : عفوا ، عفوا ، يابن سليمان
اطراؤك يخجلنى ، ويذكرنى
أن الله يوفقنى
دوما للتعبير الرائـع
أحـكى لك قصـة ..
بالأمس لقيت صديقى القاضى الهروى
وهو كمـا تعـلم
رجل مغرور بقريحته وذكائه
فسـألته :
« ما أجدى ما يطعن من طعن عن الطعن »
فاحتار ، ولم يفهم

فأعدت القول ، لكى لا تبقى للقاضى حجه
« ما أجدى ما يطعن من طعن عن الطعن »
فتبلد وتحمحم
كحصان ابن زبيبة عنتر ..
« فازور من وقع القنا بلبانه
وشكى الى بعبرة وتحمحم »
انى أروى آلاف الآلاف من الأبيات
لولا حفظى ماء الوجه لقلت الشعر
وسبقت أبا تمام وابن الرومى فى صيد التبر
لكنى رجل لا يغرينى المـال ، كما تعلم
لنعد لحكايتنـا ..
لم يعرف قاضينا المغرور بعقله
معنى تعبيرى الرائـع
فحككت له أنفى ، ثم مضيت

ابـن سـليمان : يبقيك الله ، فقد كشفت غباءه
لكن ، قـل لى
فتح الله عليـك
ما معنى هـذا القول ؟

أبـو عمـــر : هل تدرك معناه يا ابن سريج ؟
ابـن سريـج : يا مولانـا
جئنا فى مجلس حكم لا فى مجلس ألغاز
وأنـا رجل محدود يقصر عقلى
عن أن يتسـع لتعبيراتك

أبـو عمـــر : رذ لبق ، والله
لكن لا يعفيك من الرد

ابـن سـليمان : رد لا يعفيه من الرد
هـذا أيضا تعبير رائـع

ابـن سريـج : يا مولانـا
أنشـدك الله
حتى لا تزدحم القاعة بالتعبيرات الملتويه
فتضـل بها خطوات العدل
فسر لابن سليمان معنى تعبيرك

أبـنو عمـــر : خذ يابن سليمان
الطعن الأولى معناها طعن الأضراس
تتنك .. تتنك .. تتنك ..

أما طعن الثانية فمعناها أوغل فى العمر
اه .. اه .. اه
أما الطعن الثالثة فمعناها طعن الأفخاذ
شكشك ، شكشك ، شكشك
والآن اسمع وتأمل ..
ما أجدى الطعن لمن طعن عن الطعن
أى ..
ما أجدى الأكل لمن عجز عن ..

الحـــــاجب : يا مولانا القاضى
قتلوا المسجون الهارب
لكن العامة مازالت تتجمع فى الطرقات

أبــو عمـــر : نقصــوا أم زادوا ؟

الحـــــاجب : نصفهمو قد فر أمام الشرطة

أبــو عمـــر : هــذا ما كنت أظن
لا .. لا .. لا خوف

« ينسحب الحاجب ، ويلتفت لابن سليمان »
ما رأيك يا ابن سليمان فى هذا اللغز ؟

ابن سليمان : ما أمتع أسمارك يا مولانا
ليس غريبا أن يؤثرك الخلفاء أنيسا
ويقربك الوزراء جليسا
ويكون لك الرأى المسموع

أبو عمر : بل علمى يبهرهم يا ابن سليمان

صوت الحاجب : « من باب القاعة »
مولانا بكر بن الأوسى والى الشرطة
وبصحبته الحلاج حسين بن المنصور .

« يدخل والى الشرطة ، ومعه الحلاج ، ويحيى الوالى القضاة بالسلام فيردونه ، ثم ينصرف ويترك الحلاج ماثلا أمام القضاة »

أبو عمر : يا حلاج .. أتدرى لم جئت هنا ؟

الحلاج : ليمم الله مشيئته يا سيد

أبو عمر : هذا حق ..
والله تبارك وتعالى .
قد ثبت فى كف خليفتنا الصالح ــ أبقاه الله ــ
ميزان العدل وسيفه

الحـــلاج : لا يجتمعان بكف واحدة يا سيد

أبــو عمــر : هذا ضرب من فتان القول

لا يدركه أمثالك من أهل الفتنة

ابن سليمان : حلو .. حلو ..

لم يفتنى قولك يا سيد

أبو عمر : سيروعك قولى فيما بعد

فاسمع وارتع

مولانا لا يدفع عبدا ممن ولى فيهم للسيان

الا أن أحصى ما فرط من أمره

في ميزان الانصاف

مولانا يدرى من زمن أنك تبغى في الأرض فسادا

تلقى بذر الفتنة

في أفئدة العامة

وعقول الدهماء

تستتر خلف الذقن الشهباء

أو أثواب المجذوبين الفقراء

والأقوال الغامضة المشتبهات القصد
اذ تسبكها وتقفيها كهذاء الشعراء
قل لى .. ماذا تبغى بهذائك ؟
هل تبغى أن يضــع المسلم ..
فى عنق المسلم سيف الحقد ؟

الحـــــلاج : لا .. يا ســيد
بل أبغى لو مد المسلم للمسلم
كف الرحمــة والود

أبــو عمـــر : ولهذا تعرض للحكام
من أهل الرأى وأصحاب النعمة
مــاذا تبغى ؟
أن يختل الناموس ويصبح أمر العامة
أعلى من أمر الخاصــة
أن يحكم فينا الحمقى والجهلة
أن يعطى الأمر لمن ليس بأهل له

ابــن ســليمان : فتقوم الساعة

أبــو عمـــر : يا حـــلاج

الجرم الثابت لا ينفيه أن تتباله وتتمتم

ابـن سريـج : يا مولانا ، هلا أعطيت الرجل المهلة أن يتكلم
فلقد حققت وأحكمت التهمة ، ثم أدنت

أبـو عمـر : ما حاجتنا أن نسمع فى هذا المجلس
فيضا من لغو القول المبهم ؟
فليعل حديث العدل اذا خرس الجرم
قـال الله تعـالى :
« انما جزاء الذين يفسدون فى الأرض »

ابـن سـليمان : أأبا عمر .. حقا ما قلت
لكنى أرجو أن نبعث برسول للقصر
نستفتيه فى أمر الحـكم

أبـو عمـر : هل تخشى أن تحمل دم هذا المفسد ؟

ابـن سـليمان : لا أخشى أن يلزم دمه عنقى باسم الشرع
لكنى لا أرضى أن يلزمنى باسم السلطة
فأنا لم أشـهده يبغى افسـادا فى الأرض

أبـو عمـر : الشرطة قد شهدته

ابـن سـليمان : لكنى لم أتحقق من قول الشرطة ..

أبــو عمــــر : يا ابن سليمان

لسنا أهــل لتحقيق

بل أهل الفتوى ، أعلم هذا الجيل باحكام الشرع

فالشرطة والوالى والسلطان يسوسـون ..
أمور الأمــة

ويميزون الجـــانى ، ويقيسـون الجــرم بامعــان وتثبت

فاذا صح الجــرم لديهم ، وقفوا الجــانى بين يدينــا

لنرى فيه الرأى الشرعى الصائب

ابــن ســليمان : يا مولانــا

رأيى من رأيــك ..

لكنــك قــد وضحتــه

ببيان مثلى لا يدرك حسنه

فلتسمح لى أن أعرض رأيى

بعباراتى الجرداء من الفطنــه

انى قــد أســآل نفسى الآن

من نحن ، وما علة هـذا الجمع ؟
نحن رجال العلم ، وأهـل الشرع
والوالى يستفتينـا فى أمر
وعلينـا اتقـان الفتوى
أنـا لا يعنينى ما اسم المتهم الماثل بين يدينا
والحلاج لدينا حال ، لا شخص ماثل
وكأن الوالى يسـألنا
ما حـكم الشرع العـادل
فى من يبغى فى الأرض فسادا ، يبذر فيها بذر الفتنـة

وهنا تتملى فى الأحكام ، وننشرها ، تتخير منها ،
ونقـول :
للوالى ، لا للحـلاج
هـذا حـكم الشرع
فى من يبغى فى الأرض فسادا ، يبذر فيها بذر الفتنـة

أن تقطع أرجله ، أيديه ، ويصلب فى جـذع الشـجرة

ويفض المجلس
هل فتوانا ملزمة للوالى ؟
لا .. فله أن ينفذهـا
أن أن يسترجع أمره
وهنا لا نحمل وزر دم مسـفوك فى ظـلم
أو عـدل أو عـدل

ابـن سريـج : لا ، لا ، يابن سليمان
ما تنسجه من محبوك القول
أحبولـة شـيطان
ان الكلمـات اذا رفعت سيفا ، فهى السيف
والقاضى لا يفتى ، بل ينصب ميزان العدل
لا يحكم فى أشباح ، بل فى أرواح أغلاها الله
الا أن تزهق فى حق ، أو فى انصاف
الوالى والقاضى رمزان جليـلان
للقـدرة والحـق
لا تدنو من مرماها أفراس القدره
لا تبـلغ غايتهـا
الا أن أمسـك فرسان الحق

بزمـــام أعنتها
فاذا شئتم أن ينقلب الحـــال
ان تلقوا فرســـان الحــق
صرعى تحت حوافر أفراس القدره
فأنـــا أستعفى من مجلســـكم

أبـــو عمـــــر : يا ابن سريج
هـــذا مجلس حكم مخصـــوص
وله تقـــدير مخصـــوص
ينظر فى أمر مخصـــوص
وكمـــا قـــال القـــائل

ابـــن سريـــج : « مقاطعـــا »
مخضوص .. مخصوص .. مخصبوص
هل خصوا هـــذا المجلس بالظـــلم
قل لي فى لفظ واضـــح
هل نحن قضـــاة باسم الله
أم باســـم الســـلطان ؟

أبـــو عمـــــر : بل قـــل أنت

أو تنكر أن السلطان خليفة رب الأكوان
على الأكوان ؟

ابن سريج : هذا السلطان العادل ...

أبو عمر : أو تبغى أن تدفع عن مولانا صفة العدل ؟

ابن سريج : بل أرجو أن أثبتها له

ليس العدل تراثا يتلقاه الأحياء عن الموتى
أو شارة حكم تلحق باسم السلطان اذا
ولى الأمر
كعمامته أو سيفه
مات الملك العادل
عاش الملك العادل
العدل مواقف
العدل سؤال أبدى يطرح كل هنيهه
فاذا ألهمت الرد ، تشكل فى كلمات أخرى
وتولد عنه سؤال آخر ، يبغى ردا
العدل حوار لا يتوقف
بين السلطان وسلطانه

أبــو عمــــر : العدل .. العدل

ماذا تبغى حتى يجرى العدل

ابــن سريــج : أن نسمع صوت المتهم المـاثل بين يدينا

ونسائل أنفسنا وضمائرنا

أبــو عمــــر : هـــه ...

هو لا يبغى أن يتكلم

وعلى كل ، مازالت جلستنا ممدوده

فليسمعنا شــيئا من لغوه

يا هـــذا الشيخ المنفوش اللحيه

بم تدفع عن نفسك .. ؟

الحـــــلاج : لستم بقضـاتى ،

ولذا لن أدفع عن نفسى

ابــن سريــج : « للحـــلاج »

يا حـــلاج ...

لا تدفع عن نفســك

بل حـــدثنا عما فيهـــا

ان كان هو الحق ، عرفناه معك

واذا كان الباطـل
نبهنـاك اليه
وأخذنـاك بجرمـه ...

الحـــلاج : أوعدتم ان كان الحق ...
أن تمضـوا فيه معى ؟

أبـو عمـر : نمضى فيه معك .. ؟
اما أنك رجل ساذج
أو أنك أذكى مما تتصور
ولهذا أفسدت صعاليك العامه
وعلى كل ، لا ضـير
قد نصبح من أتباعك « ساخرا »
من أنت ، وما خطبك ... ؟

الحـــلاج : أنـا رجل من غمار الموالى ، فقير الأرومة والمنبت
فلا حسبى ينتمى للسـماء ، ولا رفعتنى لها ثـروتى
ولدت كآلاف من يولدون ، بآلاف أيام هذا الوجـود

لأن فقيرا ــ بذات مســاء ــ ســعى نحو
حضن فقيرة
وأطفأ فيه مرارة أيامه القاســية
نموت كآلاف من يكبرون ، حين يقــاتون
خبز الشموس
ويسقون مــاء المطر
وتلقاهم صبية يافعين حزانى على الطرقات
الحزينــه
فتعجب كيف نموا واســتطالوا ، وشــبت
خطاهم ...
وهــذى الحيــاة ضنينه
تسكعت فى طرقات الحياة ، دخلت سراديبها
الموحشــات
حجبت بكفى لهيب الظهيرة فى الفلوات
وأشعلت عينى ، دليلى ، أنيسى فى الظلمات
وذوبت عقلى ، وزيت المصــابيح ، شمس
النهار على صفحات الكتب
لهثت وراء العــلوم ســنين ، ككلب يشم
روائح صــيد

فيتبعها ، ثم يحتـال حتى ينال سبيلا اليها ،
فيركض ،
ينقض
فلم يسعد العلم قلبى ، بل زادنى حيرة راجفة
بكيت لها وارتجفت
وأحسست أنى ضئيل كقطرة طل
كحبـة رمـل
ومنكسر تعس ، خائف مرتعد
فعلمى ما قادنى قط للمعرفـة
وهبنى عرفت تضاريس هذا الوجود ...
مدائنـه وقـراه
ووديانـه وذراه
وتاريخ أملاكه الأقـدمين
وآثـار أملاكه المحـدثين
فكيف بعرفان سر الوجـود ، ومقصـدي
مبتدا أمره ، منتهاه
لكى يرفع الخوف عنى ، خـوف المنون ،
وخوف الحياة ، وخوف القدر

لكى أطمئن

سألت الشيوخ ، فقيل

تقرب الى الله ، صل ليرفع عنك الضلال ..

صل لتسعد

وكنت نسيت الصلاة ، فصليت لله رب المنون

ورب الحياة ورب القدر

وكان هواء المخــافة يصفر فى أعظمى ويئز

كريح الفلا ... وأنــا ساجد راكع أتعبد

فأدركت أنى أعبد خوفى ، لا الله ...

كنت به مشركا لا موحــدا

وكان الهى خوفى

وصليت أطمع فى جنته

ليختال فى مقلتى خيال القصور ذوات القباب

وأسمع وسوسة الحلى ، همس حرير الثياب

أنى أبيع صلاتى الى الله

فلو أتقنت صنعة الصلوات لزاد الثمن

وكنت به مشركا ، لا موحدا

وكان الهى الطمع
وحير قلبى سؤال :
ترى قدر الشرك للكائنات
والا ، فكيف أصلى له وحده
وأخلى فؤادى مما عداه
لكى أنزع الخوف عن خاطرى
لكى أطمئن ...
((سكتة))
كما يلتقى الشوق شوق الصحارى العطاش
بشوق السحاب السخى
كذلك كان لقائى بشيخى
أبى العاص عمرو بن أحمد ، قدس تربته ربه
وجمعنا الحب ، كنت أحب السؤال ، وكان
يحب النوال
ويعطى ، فيبتل صخر الفؤاد
ويعطى ، فتندى العروق ويلمع فيها اليقين
ويعطى ، فيخضر غصنى
ويعطى ، فيزهر نطقى وظنى

ويخلع عنى ثيابى ، ويلبسنى خرقة العارفين
يقول هو الحب ، سر النجاة ، تعشق تفز
وتفنى بذات حبيبك ، تصبح أنت المصلى ،
وأنت الصــلاه
وأنت الديانة والرب والمسجد
تعشقت حتى عشقت ، تخيلت حتى رأيت
رأيت حبيبى ، وأتحفنى بكمــال الجمال ،
جمــال الكمــال
فأتحفته بكمــال المحبــه
وأفنيت نفسى فيه

أبــو عمـــر : صمتا : هــذا كفر بين !

ابــن سريــج : بل هذا حال من أحوال الصوفيه
لا يدخل فى تقدير محاكمتنــا
أمر بين العبد وربــه
لا يقضى فيه الا الله
لنسائله عن تهمة تحريض العامة
فلهذا أوقفه الســلطان هنا .
هل أفسدت العامة ، يا حلاج ؟

الحـــــلاج : لا يفسد أمر العامة الا السلطان الفاسد
يستعبدهم ويجوعهم
ابـن سـليمان : يعنى هل كنت تحض على عصيان الحكام
الحـــــلاج : بل كنت أحض على طاعة رب الحكام
برأ الله الدنيا احكاما ونظاما
فلماذا اضطربت ، واختل الاحكام ؟
خلق الانسان على صورته فى أحسن تقويم
فلماذا رد الى درك الأنعـــام ؟
أبـو عمـــر : ماذا يعنى هـــذا الشيخ ؟
هل هذا أيضا من أحوال الصوفية ؟
أم يستخفى خلف الألفاظ المشتبهه
كى يخفى وجه جريمته الشنعاء ؟
انى أسألك ســؤالا محدودا
لتجيب جوابـــا محـــدودا
هل تزعم أنك صـــوفى .. ؟
الحـــــلاج : الله يصنفنى حيث يشاء
أبـو عمـــر : هل تزعم أنك فارقت الدنيا وشواغلها ؟

الحـــــلاج : ها أنـا ذا فى الدنيا يا سـيد
أشغل نفسى بالرد على أسئلتك

أبـو عمـــر : هل أرسلت رسـائل لأبى بكر المـاذرائى وسـواه
تدعـوهم فيهـا أن ينتقضـوا ، ويهبـوا ضـد الدولة ؟

الحـــــلاج : الدولة .. !
لا أشغل نفسى بالدوله
بل أشغلها بقلوب أحبـائى

أبـو عمـــر : تنـكر .. ؟
يا حاجب ...
قل للشرطة يأتوا بالمـاذرائى

الحـــاجب : هرب المـاذرائى من بغداد يا مولاى
وكذلك حمد الطولونى والقنائى

أبـو عمـــر : منذ متى .. ؟

الحـــاجب : من يومين .. ؟
مذ أنبأهم جاسوس بالقصر

عن قرب محاكمة الحلاج

أبـو عمـر : كيف عرفت .. ؟

الحـاجب : أنبتنى الشرطة يا مولاى

أبـو عمـر : « للحـلاج »

أحسبك الآن ستمضى فى انكارك

لكنى من نطقك سأدينك

هل أرسـلت رسـائل ؟

الحـلاج : قطع من قلبى أهديها لقلوب أحبائى

أبـو عمـر : مـاذا فيهـا ؟

الحـلاج : تذكير لهم أن الانسان شقى فى مملكة الله

لم يبرأنا البارى ليعذبنا ، ويصغرنا فى عينيه

بل ليرانا ننمو ، وتلامس جبهتنا وجه الشمس

أو نمرح تحت عباءتها كالحملان المرحه

أبـو عمـر : لم أرسلت اليهم برسائلك المسمومه ؟

الحـلاج : هـذا ما جال بفكرى

عاينتُ الفقر يعربد فى الطرقات

ويهـدم روح الانسـان

فســألت النفس :
مــاذا أصــنع ؟
هل أدعو جمع الفقراء
أن يلقوا سيف النقمــه
فى أفئدة الظلمــه ؟
ما أتعس أن نلقى بعض الشر ببعض الشر
ونداوى اثمــا بجريمــه
مــاذا أصــنع ‥ ؟
أدعــو الظلمــة
أن يضعوا الظلم عن الناس
لكن هــل تفتح كلمــه
قلبا مقفولا برتاج ذهبى ؟
مــاذا أصــنع ؟
لا أملك الا أن أتحدث
ولتنقل كلماتى الريح السواحه
ولأثبتها فى الأوراق شهادة انسان من أهل الرؤيــه
فلعل فؤادا ظمآنا من أفئدة وجوه الأمه

يستعذب هـذى الكلمـات
فيخوض بها فى الطرقـات
يرعاها ان ولى الأمر
ويوفق بين القدرة والفكره
ويزاوج بين الحكمة والفعل ..

أبـو عمـــر : هل تبغى أن يرتفع الفقر عن الناس ؟
الحـــلاج : ما الفقر ؟

ليس الفقر هو الجوع الى المـأكل والعرى
الى الكسوه
الفقر هو القهر
الفقر هو استخدام الفقر لاذلال الروح
الفقر هو استخدام الفقر لقتل الحب وزرع
البغضـاء
الفقر يقول ـ لأهل الثروه ـ
اكره جمـع الفقراء
فهمو يتمنون زوال النعمة عنك
ويقول لأهـل الفقر
ان جعت فكل لحم أخيك

الله يقول لنا :
كونوا أحبابا محبوبين
والفقر يقول لنا :
كونوا بغضـــاء بغاضين
اكره .. اكره .. اكره
هـــذا قول الفقر
أبـــو عمـــــر : هذا أمر لا يسكت عنه
هـــذا الشيخ يقول :
الانسان شقى فى مملكة الله
معنى هذا أن الأمة تشقى فى ظل خلافة مولانا
ويقول :
ان الفقر يعربد فى الطرقات
معنى هذا أن الأمة لا تجد الأقوات
ولتسأل عندئذ من سلب الأقوات !
ويقول :
لكن الكلمة لا تفتح قلبا مقفولا برتاج ذهبى
يعنى الأمراء وأهل الجـــاه
وتؤدى هـــذى الألفاظ المشتبهه

بالفقراء الى نبذ الطـاعه ..
ولزوم الفتنـه
ولهذا أحكم مرتاحا باداتته وعقابه
ما رأيك يا ابن سليمان ؟

« قبل أن يجيب ابن سليمان ، يدخل الحاجب على عجل »

الحـاجب : مبعوث من عند وزير القصر
يستأذن أن يدخـل

أبـو عمـر : من عند وزير القصر
فليدخـل ....

المبعـوث : مولاى وزير القصر
يهـديكم تقـديره
ويوجه هـذا المكتوب اليك

« يعطى أبا عمر الخطاب ، فينشره ، وينظر فيه »

أبـو عمـر : « وهو ينظر فى الخطاب »
مولاى وزير القصر

لطفـا منه وكرامـه
ينبينا فى مكتوبه
« يغفـرا »
أن الدولة قد سامحت الحلاج
فيما نسب اليه ، وتثبت منه السلطان
من تحريض العامة والغوغاء على الافساد
وعفت عنه عفوا كليا لا رجعة فيه

ابـن سـليمان : هذا حقا ، لطف من مولانا وكرامه

أبـو عمـر : « مستأنفا فى الخطاب »
لكن وزير القصر يضيف :
« هبنا أغفلنا حق السلطان .. »
ما نصنع فى حق الله ؟
فلقد أنبئنا أن الحلاج
يروى أن الله يحل به ، أو ما شاء له الشيطان
من أوهـام وضـلالات
ولهذا أرجو لو يسأل فى دعواه الزنديقية
فالوالى قد يعفو عمن يجرم فى حقه
لكن لا يعفو عمن يجرم فى حق الله »

ابـن سـليمان : هـذا أيضا حق !

ابـن سريـج : بل هـذا مكر خادع

فلقد أحكمتم حبل الموت

لكن خفتم أن تحيا ذكراه

فأردتم أن تمحوهـا

بل خفتم سخط العامة ممن أسمع أصواتهم

من هـذا المجلس

فأردتم أن تعطوه لهم مسفوك الدم

مسفوك السمعة والاسم

يا حـلاج ...

هل تؤمن بالله ؟

الحـــلاج : هو خالقنا واليه نعود

ابـن سريـج : هذا يكفى كى يثبت ايمانه

أبـو عمـر : يا ابن سريج

انى لا أبحث فى ايمانه

بل فى كيفية ايمانه

ابـن سريـج : كيفية ايمانه .. ؟

هل تبغى أن تنبش فى قلبه
هل هــذا من حق الوالى
أم من حــق الله ؟

أبــو عمــــر : هذا من حق قضاة الشرع

ابــن سريــج : لا ، بل هــذا من حق الله
فأنا لا أجرؤ أن أسأل رجلا عن ايمانه
فاذا شئتم أن تمضوا فى هذا الاثم ...

أبــو عمــــر : سنمضى يا ابن سريج

ابــن سريــج : فأنا أستعفى من مجلسكم

أبــو عمــــر : هــذا لك يا ابن سريج

« يغادر ابن سريج مجلسه ، ويخرج مسرعا من القاعة ، وهو يقول »

بل هــذا من حق الله
بل هــذا من حق الله

أبــو عمــــر : مازالت جلستنا معقوده
« يعود الى الخطــاب »
هذى حاشية فى مكتوب وزير القصر ...
تقول ...

« أرجو أهل العدل ، قضاة الحق
أن يستفتوا فى أمر الحلاج شهود
والشرطة قد جمعتهم فى باب القاعة
كى تكفيكم هـذا الأمر »
يا حـاجب
من بالبـاب

الحـــاجب : الشبلى الصوفى وبعض العامة

أبــو عمــر : أدخـلهم

« يخرج الحـاجب ، ويدخـل و
الشـبلى ، تتبعـه جمـاعة الفقـ
شهدناهم فى المنظر الأول »
« يتقـدم الشـبلى »

أبــو عمــر : أقدم يا شبلى

« الشبلى يتقدم أمام المحكمـة »

أبــو عمــر : هل تعرف هذا الشيخ ؟

« الشبلى يشير براسـه موافقا »
ماذا تعرف عنه ؟

الشـــبلى : مولاى ... أقلنى ، واصرفنى

فلقد جذبونى من بين أحبائى
وأتوا بى مخفورا مقهورا

أبـو عمـــر : ان كنت تحب العدل
فاشهد بين يدينا بجلية أمر الحلاج

الشـــبلى : بجلية أمره .. ؟
هذا سلطان لا يملكه الا الله

أبـو عمـــر : أو ليس صديقا لك ؟

الشـــبلى : واماما من أعلى أهل طريقتنا قدرا

أبـو عمـــر : هـل تزعم مثـله
أن الله تجـلى لك ..
أو حل حلولا فى جسدك ؟

الشـــبلى : كل منا يتحدث عن حاله
أو يصمت حين يشاهد
الحـلاج يرى ...
فيجن من الفرحة ، حتى يهذى ويعربد
وأنـا أتلذذ فى صمتى

أبـو عمـــر : بك أيضا ، قد حل الله ؟

الشـــــبلى : يا مــولاى

ان أحببت وأخلصت العهد

هل تبقى ذاتك ذاتك

أم تفنى فى محبوبك

وبهذا يشعر أهــل الوجد

فنيت نفس فى خالقهــا

فنيت ذات فى ذات

لم يصبح فى دنياك سوى ذاته

حتى أنت

قــد أصبحتــه

أبــو عمـــر : كفر .. كفر

هل هذا قولك أم قول الحلاج ؟

الشـــــبلى : يا مــولاى

أرجوك ... اصرفنى ... انك تلقى بى فى النــار

فلقد عاهــدت الله

ألا افشى نعمــاءه

ألا أكشف وجه الأسرار

ألا أتحدث عن حالى قط
دعنى أرعى عهدى ، واصرفنى

أبــو عمــــر : قول الحلاج اذن ...

الشـــــبلى : « متوســلا »
هل أخرج يا ســيد ؟

أبــو عمــــر : اخــرج
« يخرج الشــبلى مرتاعا »
« يلتفت ابو عمر الى جمع الفقراء »
ما رأيكمو يا أهل الاسلام
فيمن يتحدث أن الله تجلى له
أم أن الله يحل بجسده ؟

المجمــــوعة : كافر .. كافر

أبــو عمــــر : بم تجزونــه ؟

المجمــــوعة : يقتل ، يقتل

أبــو عمــــر : دمه فى رقبتكم .. ؟

المجمــــوعة : دمه فى رقبتنا

أبــو عمــــر : والآن .. امضوا ، وامشوا فى الأسواق

طوفوا بالساحات وبالخانات
وقفوا فى منعطفات الطرقات
لتقولوا ما شهدت أعينكم
قد كان حديث الحلاج عن الفقر قناعا
يخفى كفره
لكن « الشبلى » صاحبه قد كشف سره
فغضبتم لله ، وأنفذتم أمره
وحملتم دمه فى الأعناق
وأمرتم أن يقتل
ويصلب فى جذع الشجره
الدولة لم تحكم
بل نحن قضاة الدولة لم نحكم
أنتم ...
حكمتم ، فحكمتم
فامضوا ، قولوا للعامة
« العامة قد حاكمت الحلاج امضوا ..
امضوا .. امضوا ..
« يخرجون فى خطى متباطئة ذليلة »
(ستار)

تذييـــل

(أ) ولد الحسين بن منصور الحلاج حوالى منتصف القرن الثالث الهجرى ، وكان ابوه يشتغل بصناعة الحلج وعمل هو بهـا زمنا . ومن هنا اتاه اللقب .

وتلقى خرقه الصــوفية فى شبابه عن المتصــوف المعروف عمرو المكى . وذلك بعد لقاء قصير بسهل التسترى ، احد كبار المتصوفين . والخرقة رمز الانخلاع عن الدنيـا والفناء فى الجماعة الصـوفية . ثم تزوج بعد ذلك بامراة بصريـة . أولدهـا أولادا وعاش معها حياته كلها .

واتصل بعد ذلك بالجنيد شيخ صوفية عصره . ثم صار له مريدون عبر عنهم فى قصـائده بقوله « أصحابى وخلائى » . وقد أختلف مع صوفية عصره حين اخذ يتصل بالناس ويتحدث اليهم . فنبذ خرقة الصـوفية .

وطاف بعد ذلك ببلاد الهند . ثم عـاد الى بغداد ليعظ ويتحدث عن مواجده . يبث الآراء الاصـلاحية . ويتصل ببعض وجوه الدولة . ويجمع حوله مجموعة من الفقراء . وظلت حياتـه بين سجن ومحاكمات لا تتم . واتهـام وتكريم حتى كانت محاكمته الأخيرة فى عام ٣٠٩ هـ . أمام القاضى المـالكى أبن عمر الحمادى . ومعه قاضيان احدهمـا شافعى والآخر حنفى كمـا جرت بذلك العـادة .

وقد ترك لنا الحلاج مجموعة من الأشعار تتحدث عن مواجده الصوفية . ومجموعة من الأشعار النثرية فى كتابه الممتع العظيم « الطواسين » .

وقد كان لمقال ماسينيون « المنحنى الشخصى فى حياة الحلاج » . ولكتاب « أخبار الحلاج » الذى حققه ماسينيون وعلق عليه مع بول كراوس أكبر الأثر فى لفتى الى سيرة هذا المجاهد الروحى العظيم . وفى مقال ماسينيون اشارة الى الدور الاجتماعى للحلاج فى محاولته اصلاح واقع عصره . وماسينيون ينسب الحلاج الى الحنابلة . ويجعل الشيعة ـ ومنهم كان الوزراء وكبار الحكام ـ عدا الخليفة ـ هم الساعون فى دمه . وذلك بعد تحقيق تاريخى مسهب .

والاشارة لدوره الاجتماعى نجدها فى المراجع العربية القديمة . فالاصطخرى يقول انه استمال جماعة من الوزراء وطبقات من حاشية السلطان وأمراء الأمصار وملوك العراق والجزيرة ومن والاها .. استمالهم لماذا ؟ لا يحدثنا الاصطخرى .

ولكن اضواء اخرى تلقى على طبيعة هذه الاستمالة مثل تأكيد الجويرى فى كتابه كشف المحجوب إنه رأى بالعراق بعد ما يزيد قليلا عن مائة سنة من موت الحلاج طائفة تسمى نفسها الحلاجية . وهذا أو قريب منه ما يحدثنا به ابو العلاء المعرى فى « الغفران » من أن هناك قوما فى بغداد ينتظرون خروج الحلاج . ويقفون بحيث صلب على دجلة يتوقعون عودته . وقد مات المعرى بعد صلب الحلاج بمائة واربعين عاما .

فمما لاشك فيه اذن أن الحلاج كان مشغولا بقضايا مجتمعه .

وقد رجحت أن الدولة لم تقف ضده هـذه الوقفة الا عقابا على هذا الفكر الاجتماعى .

اما مسألة حنبليته . ووقوف الشيعة ضده . فتلك مشكلة. فرغم تأكيد ماسينيون فان دارسين آخرين مثل جولد تسيهر ودى بور وآدم ميتزلا يشيرون اليها . كما أن بعض المراجع الغربية القديمـة تغفلها . بل ان بعضـها يشير الى شيعته مثل قـول الاصطخرى نقلا عن ابن حوقل ان الحلاج كان فى اول امره داعيا من دعـاة الفاطميين . وقول ابن النديم فى الفهرست انه كان فى اول امره يدعو الى الرضا من آل محمد .

هى مسألة مختلف فيها اذن . ولذا اسقطتها من تقديرى .

وقد اخـذت من التاريخ شخصـيات معظم مسرحيتى ، فالشبلى من كبار الصوفية وكان صديقا للحلاج . وله شـهادة فى المحكمة . وقد استجوب الحلاج وهو على صليب الموت بهـذه الآية القرآنية « أو لم ننهك عن العالمين » . وكان ابراهيم بن فاتك مريده وخادمه وهو الذى روى لنا بعض فصـول كتاب « اخبـار الحلاج » اما القاضيان ابو بكر الحمادى وابن سريج فأولهما من قضـاة المـالكية المعروفين بتقربهم من الخلفاء والأمراء وثانيهما الفقيه الشافعى العظيم .

وقد اعدت صياغة احداث التاريخ . وبخاصة وقد اقترنت تلك الفترة بالغموض الشديد . فاقتصرت على المحاكمـة الأخيرة وقد كان رأى ابن سريج فى كراهيته محاكمة الانسان فى تفاصـيل عقيدته مع المع الأراء التى وردت فى المحاكمة الأولى . فدفعت به الى المحاكمة الثانية . ورغم انه ـ على رواية انفرد بها ماسينيون ـ لم يكن احد قضاتها .

كما انى أيقنت منذ القراءة الأولى للمادة المروية عن الحلاج أن كثيرا من أخبار شطحاته ومعجزاته مبالغ فيها . خاضة وقد أصبح بعد موته وليا وقديسا ومهديا منتظرا عند بعض المسلمين . فكونت من الطواسين ومن شعره مذهبا تصوفيا ينسجم مع التصوف واصول العقيدة المتحررة معا .

(ب) نشأ المسرح شعريا . وأغلب الظن انه سيعود كذلك . رغم غلبة الطابع الاجتماعي النثرى منذ أواخر القرن التاسع عشر . ولكن الايماضات الشعرية التى تتخلل المسرح النثرى الآن تؤذن بعودة الشعر الى المسرح . وليس الأسلوب النثرى المحكم — كما قال أحد النقاد — الا محاولة الاقتراب من الشعر فى تركيزه وموسيقاه .

وقد واجهتنى مشكلة الموسيقى . ولأهل الولع بالعروض أقول انى استعملت فى مسرحيتى هذه اربعة ألوان من التفاعيل :

اولاها : تفعيلة الرجز « مستفعلن » بما يجوز أن يدخلها من التحويرات .

ثانيا : تفعيلة الوافر « مفاعلتن » وقد كان العروضيون الأقدمون يجيزون فيها اسكان الخامس المتحرك . فتصبح « مفاعلين » ولكنهم يستكرهون حذف السابع لتصبح « مفاعيل » وان كانوا لا يحرمونه . وقد وجدت اللغة المسرحية تحبه وترتاح اليه أحيانا . ولعل هذا هو ما اريد ان الفت له . وهو أن الكتابة للمسرح الشعرى ستدخل على موسيقى العروض نوعا من الطواعية .

وثالثها : تفعيلة المتقارب « فعولن » .

ورابعها : تفعيلة المتدارك « فعلن » المحورة عن فاعلن . شاع استعمال هـذه التفعيلة فى شعرنا الحديث . وهى اقرب الى لهجة الحوار من الرجز . وفيها موسيقية راقصـة وخاصة اذا تكونت من متحرك فساكن فمتحرك فسـاكن . ولكنها ان حركت آخر حروفها أحيانا . وهـذا ما لم يجزه الأقدمون . اصبحت ذات ايقاع جـاد . وانكسرت الحركة الراقصة لتحل محلها تناوبات موسيقية متماوجة .

وتحريك الحرف الأخير يمارسه جميع من يكتبون الشعر الحديث رغم تحريم الأقدمين له .

وهذه هى المحاولة الأولى . ولاشـك ان المسرح الشـعرى سيطور عروضه .

ص٠ع

رقم الإيداع ٧٤١٩/ ٩٦
الترقيم الدولى I.S B.N. 977- 01- 4859- 8

مكتبة الأسرة

القراءة للجميع

مهرجان صيف ٩٦

جمعية الرعاية المتكاملة

بسعر رمزى جنيه واحد

بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٦

مطابع

الهيئة المصرية العامة للكتاب